مكتبتنا العربية

# مجلة الأزهر

المجلد الثالث والعشرون

١٠٣

مدير المجلة
ورئيس تحريرها
محمد فريد وجدي بك

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاشتراك السنوى { ٤٠ لمصر والسودان
٥٠ لخارج القطر المصرى

ثمن العدد ٤٠ مليما

ادارة المجلة : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مطبعة الأزهر
١٩٥١

مكتبتنا العربية

صفر سنة ١٣٧١ المجلد الثالث والعشرون

# مجلة الأزهر

تصدر شهريا عن مشيخة الجامع الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية



بسم الله الرحمن الرحيم

# الاشتراكية فى الاسلام

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود أبو العيون

السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية

---

تعتبر الاشتراكية من المذاهب المناقضة للفردية ، وهى مع تنوعها تتفق من الناحية السياسية على إعلاء المجتمع على الفرد ، ومن الناحية الاجتماعية على تحقيق المساواة بين الأفراد بإلغاء الفوارق بين الطبقات ، ومن الناحية الاقتصادية بالقضاء على الرأسمالية . وإلغاء الملكية الفردية لأموال الإنتاج واستبعاد المنافسة .

ولسنا فى حاجة إلى توضيح الشيوعية ، فما هى إلا اشتراكية متطرفة ، على أن الفارق الجوهرى بين الاشتراكية وبين الشيوعية هو الفارق بينهما فى الوسيلة لتحقيق الأهداف ، فوسيلة الشيوعية هى العمل المباشر للقضاء على الرأسمالية بعنف ، وإقامة الدكتاتورية العمالية ، فى حين أن الاشتراكية تعمل على تنفيذ مبادئها عن طريق استخدام القواعد الديمقراطية ، ولذلك نجد الشيوعيين أعداء لكل إصلاح لحال الفقراء والعمال حتى يستمروا فى بؤسهم ، ويثوروا على النظام القائم ، فتقع الكارثة الاجتماعية التى يعملون لها ، أما الاشتراكيون فإنهم يعنون بالإصلاحات المختلفة التى تقدم الطبقات الكادحة ولو خطوة إلى الأمام [١] .

وأبرز ما فى الحياة الغربية الآن نظامان : أولهما « اشتراكية رأس المال » وهى التى يقوم عليها النظام الشيوعى فى روسيا ، ويمتاز هذا النظام بأن الدولة تملك الصناعات الثقيلة ، وتتولى إدارتها جميعا ، فالأرض والمصانع والسكك الحديدية والسفن ، وخطوط الطيران ، والمتاجر والمصارف الكبرى ، مالها هناك كمثل الشوارع ، والطرق الزراعية عندنا ، ليست ملكا خاصاً لأفراد أو شركات ، بل

---

[١] من مذكرات لكلية الحقوق بجامعة ابراهيم للدكتورين - الجمل وحلمى مراد

مكتبتنا العربية



هى ملك المجتمع كله . ويديرها موظفون تعينهم الحكومة ، وتجرى عليهم الأرزاق وتسألهم عن تصرفاتهم ، وليس هناك من سبيل إلى الارتزاق إلا من العمل فى مصدر من مصادر الثروة المعروفة ، والقاعدة عندهم «من كل قدر طاقته وإلى كل حسب عمله» .

ويبيح القانون الروسى الآن إلى جانب النظام الاشتراكى السائد أن يقوم أفراد من الفلاحين ، ورجال الصناعات اليدوية ، والتجارة المتوسطة ، والأرض الزراعية الصغيرة بأعمال خاصة ضيقة النطاق ، تعتمد على مجهودهم الشخصى على ألا يستغلوا مجهوداً لغيرهم ، فلك أن تملك بيتا لتسكن فيه ، لا أن تستغله ، ولك أن تزرع أرضا ، أو تضع بعض الأجهزة للكهرباء للاستهلاك . لا أن تستغلها ، وتتملك إنتاجها .

وثانيهما : اشتراكية الدولة ، وهو نظام اقتصادى يطبق الآن فى انجلترا وغيرها من الدول الاشتراكية ، وهذا النظام يقضى بإشراف الدولة على المصالح والشركات الكبرى إشرافا مباشرا ، ودخولها فى رأس المال بأسهم تزيد على النصف ، وتحكمها فى أنواع الإنتاج ووسائله ، وتوزيعها للأرباح على الأيدى العاملة توزيعاً ينتفى به الجور والحقد ، وتتقارب مستويات المعيشة بين الرؤساء والمرءوسين .

وهذا المنهج الاقتصادى وسط بين تعطيل مبدأ الملكية وبين إطلاقه ، وفيه عدالة اجتماعية بقدر [١] .

وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نبين بوجازة مذهب الرأسمالية المقابل للشيوعية والاشتراكية ، وذلك ليتسنى لنا توضيح المذهب الاقتصادى الإسلامى ، وأين يقع من تلك المذاهب الاقتصادية ؟

تقوم الرأسمالية ، أو الاقتصاد الرأسمالى ، على أساس حرية الفرد ، لأنه يُعنى بمصلحة الفرد ، ولا يُعنى بمصلحة المجتمع ، وهو يعتمد على أسس ثلاثة :

(١) المصلحة الشخصية كهدف . (٢) المزاحمة كوسيلة . (٣) الحرية كشرط . فالمصلحة الشخصية تملى عليه أن يعمل لتأمين حياته من أرباح تقوم بنفقاته ونفقات من يعوله ، وبتغطية حاجته فى حالة المرض والشيخوخة ، وتجديد ما تَخلَق أو استهلك من وسائل عمله ، ويرى المزاحمة وسيلة للاستجابة للقوانين النفسية

[١] الاسلام ومناهج الاشتراكية للاستاذ محمد الغزالى

مكتبتنا العربية



التى يسيطر عليها عالم العواطف ، لأنه يعمل بعاطفته أكثر مما يعمل بعقله وذكائه ، فهو فى حاجة إلى ما يسوقه نحو العمل والجد ، وليس من سبيل لذلك سوى انطلاقه فى جو من المزاحمة والمنافسة ، وكذلك يرى الحرية فى العمل كشرط ، لأنه بغيرها لا يستطيع المنافسة والمزاحمة الحرة . ولا العمل لمصلحته الشخصية .

تلك هى الأسس التى تقوم بها الرأسمالية ، ويدور دولاب العمل عليها ، وهى لم تفلح فى تحقيق العدالة الاجتماعية ، بل بالعكس كانت وبالا على المجتمع ، وأضحت هى التى تسيطر على الدول الرأسمالية وتُتيمها وتقعدها ، فترى رجال الحكم إذا أقروا السلام ، أو أعلنوا الحرب ، كان ذلك منهم نزولا على أطماع البيوت الرأسمالية ، أو الشركات والمصارف التابعة لها .

والشيوعيون والاشتراكيون قد ناقشوا تلك الأسس مناقشة منطقية فقالوا :

إن الأساس الأول . وهو المصلحة الشخصية ، يؤدى إلى حصر الثروات وتكديسها بيد أفراد قلائل ، وتسخير الأكثرية الكادحة لهؤلاء الأثرياء وإحداث تفاوت بين الناس يجعلهم طبقات يحارب بعضها بعضا حرب الطبقات والاستثمار .

وإن الأساس الثانى ، وهو المزاحمة الحرة ، يؤدى إلى مضارة بين البيوت المالية ، والافلاس الاقتصادى بين المتزاحمين من أصحاب الانتاج الموحد ، وتآمر البيوت المالية الكبيرة على الإضرار بصغار الرأسماليين ، إذ لم تكن فى دخول السوق متكافئة فى المزاحمة الحرة ، وتكافؤ الفرص ضرورى اتقاء لشرور الرأسمالية وطغيانها .

والأساس الثالث ، وهو الحرية المطلقة ، يؤدى إلى عدم التوازن والانسجام ، ويجعل الرأسمالى حراً فى إنتاج ما يشاء ، دون نظام فى الانتاج نوعاً وكماً ، فهو ينتج كذا وغيره ينتجه ، ونتيجة ذلك أن إنتاجا يفيض عن الحاجة وإنتاجا يندر ، فتقع الأزمات الاقتصادية ، وتشيع الفوضى لعدم وضع منهاج ونظام للانتاج . والمصلحة العامة لاحساب لها فى هذه الحالات . إنما الهدف هو العمل للمصلحة الشخصية فحسب ، بغير رقابة ولا قيد .

مكتبتنا العربية



هذه هى عيوب الأسس التى تعتمد عليها الرأسمالية فى نظر المذاهب الاقتصادية الحديثة ، فما موقف الإسلام من تلك المذاهب ؟ هل الإسلام يؤيد الملكية الفردية ؟ أم يساير القائلين بالغائها ، وهل يساوق الشيوعية فى « اشتراكية رأس المال » ؟ أو الاشتراكية فى « اشتراكية الدولة » ؟ ونقول :

لا ريب فى أن الإسلام يؤيد الملكية الفردية ، والاقتصاد الإسلامى اقتصاد رأسمالى ، له شأنه فى الإسلام ، بل هو يقوم على الأسس الثلاثة التى أسلفنا الكلام عليها ، وهى المصلحة الشخصية كهدف ، والمزاحمة كوسيلة ، والحرية كشرط ، ولكن قيام الملكية فى الإسلام على هذه الأسس ليس على إطلاقه ، بل يصاحبها فى كل اتجاهاتها العامل الأخلاقى ، فهو فى تلك الأركان الثلاثة عنصر جوهرى فيها لازم لها ؛ إن هدف الإسلام هو تكوين مجتمع مثالى ، فالعامل الأخلاقى يسير معه جنبا إلى جنب ، بل يكون رائده ، فإذا انحرف السلوك الاجتماعى رده العامل الأخلاقى بقوة إلى الاستقامة ليكون ضابطاً عاماً فى مصلحة المجتمع ، وعلى هذا الاعتبار نجد أن العيوب التى أخذت على الأسس الثلاثة فى الاقتصاد الفردى الشائع فى أمريكا وفى أوربا ليس لها أثر فى الاقتصاد الإسلامى ، إن المصلحة الشخصية فى الرأسمالية الفردية فى الغرب تجرف كل شىء يقف فى طريق الانتاج أو العبث به ، فهى لا تبالى بالعامل الأخلاقى . ولا بمصلحة المجتمع ، بل هى تنكره ، ولا تتعرف عليه . بخلاف الرأسمالية فى الإسلام ، فإن مصلحة المجتمع عنصر هام لا غنى عنه ، وإن الإسلام كدين له منهج ثابت هو تطهير المجتمع من عوامل الفساد ، ويمتاز بطابعه الذى يقرن الأعمال بالخلق والعقيدة ، فلا ضرر ولا ضرار ، وهو يناهض تكديس الثروات ، وجمعها فى يد فئة قليلة ، وحرمان الأكثرية من ضرورات العيش ، ورنق الحياة ، وما كانت الناحية الروحية فى القرآن الكريم ، إلا تهذيبا للأمم ليعيش الناس فى ظلال الأخوة والمساواة والمودة ، والأمن والاطمئنان ، ويكون التعاون بينهم على الجد ، والتفانى فى الصالح العام ، لذلك وضع دستوراً ثابتا واضحا يجعل الثروات رأسماليات متوسطة وصغيرة ، حث المسلمين على الانفاق فى أكثر من سبعين آية ، وفرض الزكاة فى مال الأغنياء للترفيه عن الفقراء والمساكين ، ولقد قاتل الخليفة أبو بكر منكريها ومانعيها ،

مكتبتنا العربية



، وجعل الإسلام إطعام الفقراء ، والتصدق على المساكين كفارة لكثير من الهفوات كما فى حنث اليمين ، وفى افطار رمضان عمداً أو لعذر ، وفى الظهار ، وفى محظورات الحج ، كما شرعه فى مناسبات كثيرة فى يومى عيد الفطر والأضحى ، وفى كل المواسم الدينية — فى كل هذه الأحوال وغيرها جعل الإسلام التخفيف من ويلات الفقراء ، والعطف على المساكين ، من سمات تلك المواسم والأحوال ،

أضف إلى ذلك النظام الإرثى فى الإسلام ، فإنه يحطم الثروة ويفتتها تفتيتاً لا مثيل له فى أى قانون آخر ، فالقانون الإنجليزى يحصر الثروة فى البكر من الأولاد ، ويحرم من عداه ، وبعض القوانين الأخرى تجيز الوصية لأى كائن بجميع المال ، سواء أكان وارثاً أم غير وارث حتى للكلاب والقطط ، وسائر الحيوان ، أما الإسلام فيوزع أنصباء الأرث توزيعاً واسعاً . فيعطى للقرابات أنصبة متفاوتة ، ولا يسمح لصاحب الثروة أن يتصرف فيها بالوصية إلا بالثلث ، والثلث كثير ، وهذا كله محافظة على التوازن الاقتصادى ، ويقول تعالى فى سورة الحشر : ، كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، .

فأنت ترى أن الإسلام قد نحا بالاقتصاد منحى عادلا ، رعاية منه للمصلحة الاجتماعية ، واجتنابا لطغيان الأغنياء : ، إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، . وهكذا تجد الدين الإسلامى قد وقف موقفاً رائعاً فى توزيع الثروة وتجزئتها إلى ملكيات متوسطة وصغيرة من غير إكراه ولا اضطرار ، ليقى المجتمع شرور البطر من الأثرياء ، والحقد والبغضاء من الفقراء .

والمزاحمة التى هى وسيلة فى الاقتصاد الغربى ، وكانت عيبا من عيوبه ، هى أيضا وسيلة للاقتصاد الاسلامى ، وليست عيبا فيه ، فهى مختلفة فى النظامين ، فما قيل من أنها تؤدى الى دخول الرأسماليين فى السوق بغير أسلحة متكافئة ، وأن المنافسة فى معركة الحياة الاقتصادية ليست متساوية كما هو معروف فى الاقتصاد الغربى ، — هذا الذى قيل — منتف فى الاقتصاد الإسلامى ، فالإسلام قد قرب أصحاب الملكيات بعضهم من بعض بما شرعه فى نظام الوصية والإرث والزكاة ، وجعل الإرث أنصبة متعددة ، وشمول الزكاة ثمانية أصناف ، إنما الصدقات للفقراء

مكتبتنا العربية



والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل » .

ونضيف الى ما قدمنا تحريم الربا لكيلا يثرى أحد من عمل على حساب غيره وتحريم لعب الميسر لكيلا يثرى أحد بطريق الحظ ، هذه الاعتبارات كلها إذا روعيت كعهد المسلمين من قبل ، لاتدع أحدا محروما من سلاح يزاحم به فى مضمار الحياة ، فنى الإرث يدور دولاب تجزئة رأس المال باستمرار ، ولا يجىء عام جديد حتى يبدأ صندوق الزكاة ، ألا ترى المال يدور فى أيدى جميع الأصناف ، حتى من أثقلتهم الديون ، فإن صندوق الزكاة يدفع عنهم مغارمهم ، ويسلحهم من جديد ليدخلوا السوق آمنين مطمئنين ، فأى ضمان للناس بعد هذا ؟ وما عيب الرأسمالية فى الإسلام ؟

نأتى بعد هذا على بحث الحرية التى هى شرط فى الاقتصاد الرأسمالى الغربى ، وعدت عيبا من عيوبه ، ولكن هذا العيب منتف فى الاقتصاد الاسلامى ، فانه فى الاقتصاد الغربى تسير فيه الحرية مطلقة لا تقف عند حد ، حتى انقلبت تلك الحرية إلى فوضى ، مما اضطر أصحابها إلى إتلاف المحاصيل أحيانا للاحتفاظ بالأسعار العالية ، أما هذه الحرية فى الاقتصاد الإسلامى ، فمقيدة بقيدين ، هما العامل الأخلاقى ، والمصلحة الاجتماعية ، ويتدخل ولى الأمر فى السوق حين يرى تنكب التجار أصول التعامل ، ويضرب بيد من حديد على أيدى المحتكرين المتحكمين فى الأسواق ، والعازفين عن المصلحة العامة ، وكان عمر بن الخطاب يمشى فى الأسواق ، ومعه الدرة يؤدب بها ذوى الأثرة والطامعين فى الكسب الحرام ، والحسبة معروفة فى الإسلام ، وكان رجالها يقام لهم فى الأسواق وزن واعتبار[1] .

فأى نظام نجده نزيها وعادلا كنظام الاقتصاد فى الإسلام ؟ إن الإسلام قد امتاز فى نظامه عن الشيوعية والاشتراكية ، فالاقتصاد الإسلامى رأسمالى فردى من نوع خاص ، قد جمع خير ما لدى الشيوعية والاشتراكية ، وتجنب عيوبهما ،

---

(١) من مقالة « مع تصرف » للاستاذ محمود البيلى فى مجلة رسالة الاسلام ، لدار التقريب - السنة الثالثة . العدد الثالث .

مكتبتنا العربية



ولكن كثيراً ممن أخذوا بزيف المدنية الغربية ، يشيدون بالاشتراكية التى تضمنت المساواة فى لذة العيش ، وبسطة الحياة ، من غير تفرقة بين سوقة وسادة ، وأغنياء وفقراء !! وهى مذاهب وضعية خاضعة للتجارب والتعديل والتغيير ، كما هو حادث فعلا . والاشتراكية الصحيحة المعقولة هى فى الإسلام الذى يضمن للعاجز العيش ، وللعامل الكسب ، وللفقير القوت ، وللمريض الصحة ، وللعالم كله أمنا وسعادة ، الاشتراكية الصحيحة المعقولة هى فى الإسلام الذى يشعر المسلمين بأنهم أسرة واحدة ، وأنهم جميعا كأسنان المشط ، وأنهم تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وأنهم كالجسد الواحد : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

هـذه هى الاشتراكية فى الاسلام ، فأين منها تلك المذاهب الحديثة المادية المتداعية الواهنة ؟ .

« هذا ومن خطل الرأى إذن ، أن ينعى امرؤ على الرأسمالية ، نظامها من فوق منبر الاشتراكية ، لأن المبدأين يحتويهما أصل واحد » .

( ولم يعد للاشتراكية فضل الانفراد بالدعوة إلى إزالة الفوارق فى دخول الناس ، لأن إزالة الفوارق لم تعد مسألة رأفة أو حنان أو عطف أو إحسان ، بل أصبحت من صميم الاقتصاد بوصفه علما ، وعندى أن إرجاع هذا الهدف إلى العدالة الاجتماعية ، فيه خطأ وإجحاف ، لأنه يوحى بأن رغبة المساواة منبعثة من عاطفة المروءة ، أو أنها مستمدة من واجب أدبى فى حكم فرض الكفاية ، مع أنها هدف مادى تفرضه ضرورة الانتاج ) [1] .

أما الاشتراكية فى الإسلام فهى غير ذلك بالمرة لأنها من قوانين السماء ، وهى صالحة لكل زمان ومكان ، وإزالة الفوارق . ورغبة المساواة ، والعدالة الاجتماعية من قواعد الإسلام ، ومبعثها الرأفة والحنان ، والرحمة والإحسان ، وإنقاذ الإنسانية من ضراوة المجتمع وفوارق الطبقات ؟

(١) الأهرام ١٧ أغسطس لسنى اللقانى بك

مكتبتنا العربية



# ما يصادفه المجددون

## فى جميع العصور

---

صادف المجددون الذين خدموا الإنسانية أجل الخدم ، والمكتشفون للمجهولات من سخرية العامة ، ومقاومة أهل العلم ما لا يمكن تحمله والصبر عليه لولا أن الله سبحانه وتعالى كان يمدهم بروح منه فيحتملوا ما يصيبهم من العنت بثبات عجيب ، واعتقاد راسخ . وقد ذكرهم العلامة الفلكى المشهور كاميل فلامريون فى كتابه المدعو ( المجهول والمسائل النفسية ) ألم فيها بتاريخ الجمود العلمى ، وتاريخ استعصائه عن قبول كل جديد ، وضرب لذلك أمثالا مما يندر وجوده فى المؤلفات فرأينا أن نتحف قراء مجلة الأزهر .

على أن فى ذكر تاريخ هذه الحالة العقلية فوائد لا تقدر من ناحية أنه يعلم تاليه التثبت ، فلا يعود يتعجل بالتكذيب بالحقائق الجديدة ، حتى لا يحرم من بركاتها ، وحتى يكون سببا فى توسيع نطاق العلم ، وزيادة مادته . قال الأستاذ فى مقدمة كتابه المدعو ( المنكرون والمسائل النفسية ) ما ترجمته الحرفية :

« عدد كبير من الناس مصابون بقصر نظر حقيقى فى العقل ، وقد صورهم ( لومبير ) أصدق تصوير بقوله : إنهم يتخيلون أن الأفق المحيط بهم هو نهاية العالم . فترى الحوادث الجديدة ، والآراء الحديثه تكسفهم وتذعرهم . فهم لا يريدون أن يتغير السير العادى للأشياء ، أما تاريخ تقدم العلوم الإنسانية فلديهم من الشئون التى يجب أن تهمل .

« وتظهر لهم جراءة الباحثين والمخترعين ومحدثى الانقلابات من الجرائم ، ويخيل اليهم بأن النوع الإنسانى كان دائما على ما هو عليه الآن ، فلا يتذكرون عصر الحجر ، ولا عهد اكتشاف النار ، ولا زمن اختراع عمل البيوت والمركبات والسكك الحديدية ، ولا توالى الفتوحات العقلية ، ولا استكشافات العلم ، فترى فيهم للآن أثراً من وراثة أسلافهم الأسماك بل والحيوانات الرخوة . ونجد هؤلاء السادة المحترمين يتمكنون من الجلوس على كراسيهم ويظلون على تلك الحالة فى راحة

مكتبتنا العربية



لا يعتريها أقل اضطراب ، وهم ليسوا أهلا لقبول ما لا يفهمون ، ولا يطوف بخيالهم حالهم الحقيق من أنهم لا يعلمون أقل شيء . ولا يعرفون بأن فى ثنى كل تعليل لأية ظاهرة من الظواهر الطبيعية مجهولا ، فيكتفون بتغيير الألفاظ ليس إلا . لماذا يسقط الحجر ؟ لأن الأرض تجذبه . مثل هذا الجواب الواضح يشبع مطامعهم العلمية ، فيتوهمون أنهم قد فهموا هذه المسألة ، والتلاعب بالتفسيرات المدرسية المقررة تفتنهم على نحو ما كانت عليه الحال فى عهد موليير .

فى كل عصر ، وفى جميع أدوار المدنية يصادف أمثال هؤلاء الرجال البسطاء وهم فى حالة هدوء وسكون ، ولكن ليس بغير زهو ، فينكرون بسلامة قلب جميع الأشياء التى لم يبحثوا فيها . ويزعمون أنهم يحكمون على النظام الكونى الذى لا يُسبر له غور . مثلهم كمثل نملتين فى حديقة تتكلمان فى تاريخ فرنسا ، أو فى بعد الشمس عن الأرض .

فلنعرض للقارىء حوادث من التاريخ ، ولنأت ببعض الشواهد على ما نقول :

تحررت مدرسة فيثاغوس من الآراء العامية على الطبيعة ، وارتقت إلى إدراك الحركة اليومية لكوكبنا الأرضى ، فمنعت بذلك السماء التى لا نهاية لها من أن تتكلف الدوران حول نقطة تافهة فى كل أربع وعشرين ساعة . فلسنا فى حاجة لأن نقول بأن الرأى العام ثار على هذا الرأى الجليل ، فلا يمكن أن يطلب إلى الفيل أن يطير إلى وكر النسر . ولكن كانت قوة المعتقدات الراسخة بحيث منعت العقول الراقية من قبول هذا الرأى . حتى عقلى أفلاطون وأرخميدس ، وهما العقلان اللذان يتألقان نورا . وكان من عداد المكذبين أيضا الفلكيان هيبارك وبطليموس . حتى أن هذا الأخير لم يتمالك نفسه من الاغراق فى القهقهة من مثل هذه الخزعبلة الفارغة . وقد وصف نظرية دوران الأرض بأنها مضحكة للغاية . هذا التعبير قارص جدا . وكأننا نرى من هنا بطن كاهن صالح من كهان ذلك العصر يضطرب ويتلوى من دعابة بمثل هذه القوة وهو يقول : ما أكبر هذا السخف ! الأرض تدور ؟ لقد أصاب الفيثاغورسيين الخبل ، تلك أدمغتهم التى تدور » .

ثم أخذ الأستاذ كاميل فلامريون يسرد تاريخ الاستكشافات العلمية وما لاقيه العلماء المكتشفون من المكافحات والاضطهادات . فذكر أن الفيلسوف الكبير

مكتبتنا العربية



سقراط قبض عليه وقتل بالسم لأنه ترفع عن تصديق الخرافات التى كانت شائعة فى زمنه . وأن الفيلسوف أناجزاغور اضطهد وعذب لأنه زعم أن الشمس أكبر من شبه جزيرة بيلوبونيز ببلاد اليونان !!!

وجاء بعده غاليليه بألفى سنة فأحرق بالنار ، لأنه قال إن الأرض كرة حقيرة فى هذه اللانهاية السماوية . ثم قال ما ترجمته حرفيا :

وقد حضرت فى ١١ من مارس سنة (١٨٧٨) تقديم الفونوغراف الذى اخترعه اديسون إلى مجمع العلماء الفرنسى . فلما أدار مقدمة الآلة وتكلم الفونوغراف هب أحد العلماء الكبار وهو المسيو ( بويو ) من مكانه وأمسك بخناق الرجل ، وصاح فى وجهه تعساً لك ! اننا لا ننخدع لمشعوذ مثلك يتكلم من بطنه . وما هو أعجب من هذا أن هذا العالم أعلن بعد هذه الحادثة بستة أشهر أى فى جلسة ٣٠ سبتمبر لمجمع العلماء بأنه درس مسألة الفونوغراف ( درساً مدققا ) فرأى أن المسألة مسألة تدليس وأن الصوت الذى يرن منه ليس منبعثا من الفونوغراف ولكن من بطن مقدمه . ثم قال : ( أى العلامة بويو ) ولا يعقل أن يستطيع المعدن محاكاة الجهاز الصوتى الشريف للانسان » ! فلم يكن الفونوغراف فى نظره إلا من الأوهام !

ولما حلل الكيماوى الكبير ( لافوازييه ) الهواء إلى عنصريه الأوكسيجين والأزوت نار عليه أكثر من عالم عظيم . وانبرى له الكيماوى الأشهر ( بوميه ) أحد أعضاء المجمع العلمى ، ومخترع الأريومتر ورد عليه بقوله :

« إن العناصر أو الأصول المكونة للأجسام قد اعترف بها وتحقق منها الطبيعيون فى جميع العصور وفى كل الأمم . وليس من المحتمل أن توضع هذه العناصر التى عُرفت منذ ألفى سنة بأنها بسيطة ، فى عداد الأجسام المركبة ، كما أنه ليس من المحتمل أيضاً أن تعتبر حقيقية تلك الوسائل التى تقدم لنا لتحليل الماء والهواء ، ولا تلك الأدلة المستحيلة ( ولا نقول أكثر من ذلك ) ، الداعية إلى انكار وجود عنصرى النار والتراب . فان الخواص المعترف بها لهذه العناصر تتعلق بجميع المعارف الطبيعية والكيماوية التى تحصلنا عليها إلى الآن . وقد صارت هذه العناصر قواعد لعدد لا يحصى من مكتشفات ونظريات تتبارى كلها فى الوضوح

مكتبتنا العربية



والجلاء . وهذه المكتشفات والنظريات يجب أن ترفع منها كل ثقة إذا اعتبر أن النار والهواء والماء والتراب غير عناصر أصلية .

ثم قال كاميل فلامريون عقب هذا :

« كل الناس يعلمون اليوم بأن هذه الأربعة العناصر ، التى دوفع عنها بهذه الروح العظيمة من التقوى ، لا وجود لها . وإن الحق فى جانب الكيماويين العصريين بتحليلهم الهواء والماء . أما عنصر النار الذى كان يقول عنه بوميه ومعاصروه بأنه الأصل المولد للطبيعة والحياة فلم يوجد إلا فى خيال أولئك الأساتذة .

والعالم لافوازييه نفسه ليس ببرىء من مثل هذا الجمود العلمى ، فقد كتب للجمعية العلمية بحثا مسهبا يثبت لها فيه استحالة سقوط الأحجار من السماء . وقد كانت تلك الأحجار وهى النيازك قد شوهدت فى أماكن متعددة ، ورؤيت وهى ملتهبة ، ومع هذا كله أعلنت الجمعية العلمية بأن ذلك من الأمور التى لا يتصورها العقل . وفى سنة ( ١٦٢٧ ) سقط نيزك يزن ثلاثين كيلو غراما فى رائعة النهار ورآه العالم ( غاساندى ) بعينى رأسه ولمسه وفحصه ونسبه لنورة أرضية مجهولة ، مع أن النيازك عرفت بعد ذلك بأنها بقايا كواكب متحطمة ، تمر بها الأرض فتجذبها اليها ، فتسقط عليها من السماء .

« وقد كان الأساتذة الأرسطاليسيون يؤكدون فى عصر غاليليه أن الشمس لا يمكن أن يكون عليها كلف وقد ثبت ذلك بعد بالحس .

ولما رأى العالم ( جالفانى ) مكتشف الكهرباء بأن أرجل الضفادع التى كان علقها على قضبان الحديد فى بيته قد اضطربت ، انهمك فى درس سبب ذلك ونسبه للقوة الكهربائية ، هزىء به الناس وسموه أستاذ رقص الضفادع . فكتب يقول سنة ١٧٩٢ . « لقد هوجمت بطائفتين متعارضتين العلماء والجهلاء . كلتا الطائفتين تهزآن بى وتسمياني أستاذ رقص الضفادع . ومع هذا فانى متحقق من أنى قد اكتشفت إحدى القوى الطبيعية » .

« وفى هذا الوقت نفسه أنكر المجمع العلمى والمجمع الطبى المغناطيس الإنسانى إنكاراً مطلقاً وعلقا تصديقهما به على نجاح ( جول كاوكيه ) فى استئصال سرطان ثدى لامرأة بدون بنج ولكن بواسطة التنويم المغناطيسى وحده » .

مكتبتنا العربية



« ولما اكتشف هارفى الدورة الدموية هزئت به جامعة الطب . وسلقه بألسنة حداد» .

« ولما قدم الماركيز جوفروا سنة ١٧٧٦ مشروع عمل السفن البخارية رماه الناس بالعته ، وقالوا هل يتفق الماء والنار ؟ وعرضت الحكومة مشروعه على الجمعية العلمية لفحصه فقررت بأنه خيال ، فاشتد استهزاء الناس بالمخترع ونبذوه بالالقاب . فنبغ عقبه ( فولتون ) وعرض مشروعه على أولى الامر ، فلم يصادف غير ما صادفه سابقه ، فرحل إلى أمريكا وهناك لقى بعض المساعدة بعد جهد جهيد .

« ولما اكتشف فيليب لوبون الاستصباح بالغاز ، نشر مشروعه فلم يأبه به أحد ، وسخر الناس منه ، ومات صاحبه ولم يجد لندائه ملبياً . وكانوا يردون عليه باستحالة وجود مصباح بدون فتيل » .

« ولما اكتشفت السكة الحديدية لنقل المسافرين والبضائع ، ثار الناس على المخترع وعدوه ممخرقا ، وكتب المهندسون الفصول الطوال لإثبات أن العجلات تدور على نفسها ولا تسير على القضبان . وقام العالم الرياضى المشهور ( اراغو ) فى مجلس النواب سنة ١٨٣٨ ، فأثبت فساد هذا المشروع وأفاض فى بيان جمود المادة وصلابة المعادن ومقاومة الهواء . وزعم أن هذا المشروع لو نجح أفضى إلى تقليل إيرادات النقل على الحكومة فتخسر بذلك مالا طائلا . ثم ختم خطبته بقوله : « لنحذر من المضى مع الأوهام فإن مائتين متوازيين من الحديد ( بريد القضبان ) لا يغيران طبيعة أراضى غاسكونيا البور » .

« وخطب السياسى الكبير ( تيرس ) فى هذا الموضوع فقال : « أنا أسلم بأن مشروع السكة الحديدية يكون من ورائه ( بعض الفوائد ) مثل نقل المسافرين إذا قصر ذلك على بعض الخطوط القصيرة جدا والمنتهية إلى بعض البلاد الكبيرة ، كباريس ولا يجوز عمل خطوط طويلة . . .

« وقال الاقتصادى الكبير ( برودون ) : « إن من الآراء الساذجة المضحكة الزعم بأن السكك الحديدية تخدم فى تسهيل تبادل الأفكار » .

« ولما استشيرت الجامعة الطبية الملكية فى أمر السكك الحديدية أجابت بأنها إن تحققت توجب المضار الشديدة على الصحة العامة فتسبب الدوار للركاب والمشاهدين فى الخارج ونصحت بعمل حواجز عالية خشبية تحيط بالسكك الحديدية حيثما مدت (حتى لا يرى القطار أحد وهو سائر )

محمد فريد وجدى

مكتبتنا العربية



# التفسير

## « سورة البقرة »

لفضيلة الأستاذ الشيخ حامد محيسن
عضو جماعة كبار العلماء

---

بسم الله الرحمن الرحيم

« الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

أما تلك الأحرف التي افتتح بها كثير من سور القرآن ، فسأفرد لها صحيفة مستقلة أبين فيها سر الافتتاح بهذه الحروف على وجه يساير القرآن الحكيم ، كتاب الله المجيد الذي لا تنتهي عجائبه ، ولا تنفد غرائبه ، بل كلما أطلت الفكرة فيه ازددت رشادا ، وازددت إعجابا ، وبدا لك ما يبهرك من بالغ الأساليب ودقيق المعاني . وبعيد المغازي والمقاصد فلنبدأ في التفسير بقوله تعالى ذلك الكتاب الخ الآيات ، ونحن إذا نظرنا في قوله تعالى : ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . نرى أنه بدأ بالإشارة إلى ما نزل على محمد بصيغة الإشارة للبعيد ، وأنه أبدل منه قوله الكتاب ، وأتبع ذلك بنفي الريب عنه ، وأنه هدى للمتقين .

أما الإشارة بصيغة البعد فلأنه سامي المنزلة أينما توجهت إليه ، فإن نظرت إليه من ناحية تراكيبه فهو معجز البلغاء ، وإن نظرت إليه من ناحية معانيه فهو فوق مدارك الحكماء ، وإن نظرت إليه من ناحية قصصه وتاريخه فهو أصدق محدث عن الماضين ، وأدق محدد لتاريخ الغابرين ، لهذا كان من الناظرين فيه في مكان السمو للبعيد ، فكانت الإشارة إليه بتلك الصيغة ثم أبدل منه قوله الكتاب ولفظة ( ا ل ) من شأنها في أسلوب اللغة العربية أن تعهد السامع مدخولها بعهد ذكرى

مكتبتنا العربية



أو عهدى معنوى . فقوله الكتاب أى ذلك النور المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم الذى عرفتموه بواضح إرشاده وواسع ضيائه . وبالغ حكمته ، ومنبلج حجته ، فكان ذلك ما عهده الناس فيه .

( لا ريب فيه ) وجىء بتلك الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر ، لغرض سام هو ألا يخبر عنه بأنه الهدى للمتقين ، حتى ينفى عن ساحة كونه كتابا غبار الريب وغيوم الشكوك . فلا يحمل كونه هدى عليه إلا والنفوس مقتنعة به حتى يستقر فى النفوس وصفه ، وتطمئن القلوب لآثاره ومقاصده ، وإنما صح نفى الريبة عن المفرد . والريبة إنما تنفى عن النسب ، والنسبة إنما تكون فى التركيب التام لأن هذا المفرد قد اكتملت فيه نسبة وصفية . وهو أنه الكتاب المعهود برشاده وهداه ، وبلاغته وحكمته ، لهذا صح نفى الشك عنه .

وأما قوله هدى للمتقين . فذلك خبر المبتدا ، ووقعت جملة لا ريب فيه حالا للاحتياط بتطهير ساحته قبل الحمل عليه . فيكون المعنى ذلك الكتاب المعهود لكم أيها الناس حال كونه نقى الساحة موفور الضياء . لا تدانيه ريبة ولا ينزل بساحته شك ، فمن أية ناحية نظرت إليه لمع برهان صدقه ، وسطعت حجة حقه . هو هدى ورشاد للمتقين ، الذين قدروا ربهم حق قدره فخشوه ، وعرفوه حق معرفته فخافوه فنسجوا من عبادة ربهم الواقيات ، ومن عظمته الحائلات بينهم وبين غضبه وعذابه وبحق إنه لا يعبد الله حق عبادته ، ولا يطيعه أصدق طاعته إلا من عرفه فقدره فخافه . وهنا قد يسأل سائل إذا بلغ الإنسان حد التقوى والمخافة من الله ألا يكون قد بلغ إذ ذاك حد الهداية مما يشكل معه قوله ( هدى للمتقين ) ، إذ الذى يفهم لأول نظرة أن يكون الكتاب هدى للضالين ؟

وإنا جوابا على هذا نقول إن الهداية مراتب متفاوتة بتفاوت الناس ومراتبهم فى النظر والتفكير . فهداية المرء لأول إشراق الرشاد على قلبه ، غير هداية المرء بعد أن يمر فى النور مرحلة أو مرحلتين ، وهما غير هداية المرء حين يعمق فكره وتطهر نفسه ، ويبلغ غاية فى الرشاد تدوم بها مراقبته ويستمر بها من الله خوفه .

والذى أريد من الهداية ها هنا هو هدى من ساروا فى الرشاد مراحل وبلغوا حد مداومة الرقابة ، ولا شك أن المرء كلما زاد من الله خوفه ودامت له رقابته

مكتبتنا العربية



زاد للقرآن إدراكه وعمق فيه فهمه وتواردت على نفسه دواع من الهدى لم يعهدها وأشرقت على قلبه مصابيح من الرشاد لم تسبق له من قبل. وتلك الهداية هى الهداية الواسعة العميقة التى من حقها أن تكون أول ما يعزى للقرآن وأما ما قبل تلك المراتب فهو بمثابة ضياء الفجر يتقدم الصباح وضياء الصباح يتقدم شروق الشمس. فصح أن يكون الكتاب هدى للذين اهتدوا واتقوا وعملوا الصالحات.

ولما كان خوف الله ورقابته مما يبعث فى العقول بالغ الأدراك، ويزيد فى النفوس واضح الأشراق مما يدق به النظر فى بدائع الكون، وما فيه من آيات بينات على عظمة الله، وبالغ حكمته ومحيط قدرته. لما كان كذلك تراه قد بين أوصاف المتقين بقوله الذين يؤمنون بالغيب الخ تلك الأوصاف، إذ أن معنى الأيمان بالغيب هو أن عقولهم اتسع إدراكها وتقشعت عنها غشاواتها، وامتد نظرها فى الكائنات فأدركت أن لتلك الآثار، وهذه الأكوان، وتلك الآيات البينات مبدعا حكيما وخالقا قادرا، واحدا لا شريك له، وإلا لما دام نظامها دواما أبديًا، ولداناها حينا ما اختلال أو ارتباك، أو وقفة أو اضطراب. بل لا ترى إلا آيات محكمات ونظاما مضطردا، وكواكب تشرق وتغرب وسماء مرفوعة بغير عمد. وأرض راسية لا تميد ولا تضطرب، فكان من ذلك لتلك العقول براهين قاطعة وحجج ساطعة على وجود خالق جبار، وحكيم قدير ومبدع لا تأخذه سنة ولا نوم، فآمنت به حق الايمان، وامتلأت بعظمته وخضعت لكبريائه. واستتبع ذلك لديها أن تلك الآيات الواضحات التى أقيمت فى الآفاق وفى الأنفس، وتلك الرسل الداعية للهدى وتلك الكتب المشرقة بالرشاد. لم يكن كل ذلك لتنظيم تلك الحياة فحسب، بل للاستعداد لحياة أطهر، ونعيم أمدّ وأوسع، وقرب من الله يكون الناس به أشد إحساساً وأقرب منزلة، ذلك هو إيمان المتقين بالغيب، بالله واليوم الآخر نتيجة لرشادهم المفضى لرقابتهم، وتنواهم لله تعالى.

ذلك هو أول وصف تنتجه التقوى وهو الايمان بالغيب. وكذلك من آثار التقوى ونتائجها بعد اقتناع النفوس بعظمة ربها وبأنها راجعة اليه يحاسبها على صغير ما عملت وكبيره. ودقيقه وجليله من آثارها بعد ذلك هو الانبعاث أن تبدى من مظاهر العبودية وخوف الله ما يحس. فانها إذ بلغت ذلك الحد لا يكفيها

مكتبتنا العربية



ذكرى العقول ، وخشعة القلوب ، بل لابد أن تقوم لربها بأخضاع الجوارح واستعمالها فى عبادته مما تتم به مظاهر عبوديته ، وليس هناك مظهر تتجلى فيه عبودية المرء وخشوعه لمولاه وأعظامه لخالقه أكثر من الصلاة ، فقال ويقيمون الصلاة فجعل إقامتها الأثر الثانى لتقوى الله ورقابته ، وبحق هى أوفى مظاهر العبادة بحقوق العبودية ، وواجب الشكر والاعظام للكبير المتعال ، الخالق الرازق الهادى الحكيم فأن العبد بالصلاة تراه بادئا لتلك العبادة بالاذعان بأن الله أكبر كل شىء وأعظم كل شىء ، فكل كائن إلى عظمته حقير ، وكل عال ومنخفض ، ومضىء ومظلم إلى كبريائه حقير ، ثم يثنى بعد ذلك بقراءة فاتحة الكتاب وفيها استذكار نعم الله على العبد مما يوجب حمده ، والاعتراف بالربوبية له . والشعور برحمته ، واليقين بملكه للدنيا والآخرة ، مما يوجب قصر استمداد الاستعانة عليه تعالى . وقصر الأعظام والإكبار عن المنعم عليه ، مما يدفعه إلى الشعور بقصر قوته عن أداء ما يجب لخالقه فيطلب منه الهداية لأقوم الطرق والإرشاد لاقتفاء آثار المنعم عليهم ، والبعد عن متابعة الغاوين الضالين ، وإذ تبلغ نفسه ذلك الحد من الاتصال ، فإنه لا يسعها أن تبقى على اعتدالها ، بل لابد أن تزيد فى الخضوع بالركوع ولا يكفيها ذلك إذ تبلغ منها الأعظام أن ترتمى بل لابد أن تمس الأرض بأسمى مظهر فيها وهو الجبين خضوعاً لله ، وخوفاً منه وخشية له .

تلك هى الصلاة ، وتلك هى العبادة التى استتبعها الإيمان بالغيب .

ولما كان وصول العبد فى الاتصال بربه قد بلغ هذا الحد يرى العبد إذ ذاك أن مظاهر الاستجابة لله لا ينبغى أن تقصر على مظاهر العبودية ، بل لابد أن يكون لها من الأثر أوسع من ذلك وأظهر ، فلا بد أن يكون لشكره وحمده آثار متعدية ، وذلك هو معونة الغير بما أعطى من مال شكراً لله على ما أنعم به عليه ، فكان أن ينفق مما رزق ، وأن يمد المحتاجين مما أعطى ، وإن فى رحمة الناس رضا من الله وفى معونة الناس إعانة من الله كبرى ، فالمنفق والمخلص الخائف المتقى ، إنما يستمد بالإنفاق على الناس رضا ربه ومعونته . ذلك قوله ومما رزقناهم ينفقون .

( يتبع )

مكتبتنا العربية



# الربا

## فى نظر القانون الإسلامى

تعريب المحاضرة الفرنسية التى ألقاها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء ومندوب الأزهر فى مؤتمر القانون الاسلامى المنعقد بباريس فى ٧ يوليو سنة ١٩٥١ م

---

## حقيقة حكم الربا فى الاسلام

### أخذاً من المصادر الأولى للتشريع

— ٢ —

هكذا نصل من طريق هذه النظرة التاريخية إلى صميم الموضوع القانونى .

ما حقيقة الأمر فى نظر الشريعة الإسلامية ؟ هل الإسلام يبيح الربا اليسير ؟

سأسرد على مسامعكم ، أيها السادة والسيدات ، نصوص الشريعة الإسلامية من منابعها الأولى ، تاركا لكم أن تستخلصوا منها الجواب بأنفسكم .

**( ١ ) القرآن :**

ولقد يكون من المفيد فى صدر هذا البحث أن نذكر أنفسنا بطبيعة المنهج التعليمى فى القرآن ، حينما يكون بصدد محاربة بعض الرذائل التى تأصلت فى العرف العام ، والتى توارثتها الأجيال خلفاً عن سلف ، فى أحقاب متطاولة .

ذلك أن القرآن فى معالجته لهذه الأمراض المزمنة لا يأخذها بالعنف والمفاجأة ، بل يتلطف فى السير بها إلى الصلاح على مراحل متريثة ، متصاعدة ، حتى يصل بها إلى الغاية .

كلنا نعرف ما كان منه فى شأن الخمر . وأنه لم يبطله بجرة قلم ، بل لم يحرمه تحريماً كلياً إلا فى المرحلة الرابعة من الوحى . أما المرحلة الأولى ( التى نزلت فى مكة ) فإنها رسمت الوجهة التى سيسير فيها التشريع . وأما المراحل الثلاث ( التى نزلت بالمدينة ) فكانت أشبه بسلم : أولى درجاته بيان مجرد لآثار الخمر وأن إثمه أكبر من نفعه ، والدرجة الثانية تحريم جزئى له ، والثالثة تحريمه التحريم الكلى القاطع .

فهل يطيب لكم أن تدرسوا معى المنهج التدريجى الذى سلكه القرآن فى مسألة الربا ؟

مكتبتنا العربية



إنه لمن جليل الفائدة أن نتابع هذا السير الذى انطباقه التام على مسلكه فى شأن الخمر ، لا فى عدد مراحله فحسب ، بل حتى فى أماكن نزول الوحى ، وفى الطابع الذى تتسم به كل مرحلة منها .

نعم ، فقد تناول القرآن حديث الربا فى أربعة مواضع أيضاً ، وكان أول موضع منها وحياً مكياً والثلاثة الباقية مدنية . وكان كل واحد من هذه التشريعات الأربعة مشابهاً تمام المشابهة لمقابله فى حديث الخمر .

فى الآية المكية يقول الله جلت حكمته : « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » (سورة ٣٠ — آية ٣٩) هذه كما ترون موعظة سلبية : إن الربا لا ثواب له عند الله . نعم ، ولكنه لم يقل إن الله ادخر لآكله عقابا . وهذا بالضبط نظير صنيعه فى آية الخمر المكية ( ١٦ / ٦٧ ) حيث أومأ برفق إلى أن ما يتخذ سكراً ليس من الرزق الحسن ، دون أن يقول إنه رجس واجب الاجتناب . ومع ذلك فان هذا التفريق فى الأسلوب كان كافيا وحده فى ايقاظ النفوس الحية ، وتنبيهها إلى الجهة التى سيقع عليها اختيار المشرع الحكيم .

أما الموضع الثانى فكان درساً وعبرة قصها علينا القرآن من سيرة اليهود الذين حرم عليهم الربا فأكلوه وعاقبهم الله بمعصيتهم . وواضح أن هذه العبرة لا تقع موقعها إلا إذا كان من ورائها ضرب من تحريم الربا على المسلمين ، ولكنه حتى الآن تحريم بالتلويح والتعريض لا بالنص الصريح . ومهما يكن من أمر فان هذا الأسلوب كان من شأنه أن يدع المسلمين فى موقف ترقب وانتظار لنهى يوجه اليهم قصدا فى هذا الشأن ؛ نظير ما وقع بعد المرحلة الثانية فى الخمر (٢/٢١٩) حيث استشرفت النفوس إذ ذاك إلى ورود نهى صريح فيه ؛ وقد جاء هذا النهى بالفعل فى المرحلة الثالثة ولكنه لم يكن إلا نهياً جزئيا : فى أوقات الصلوات (٤/٤٣) .

وكذلك لم يجىء النهى الصريح عن الربا إلا فى المرتبة الثالثة . وكذلك لم يكن إلا نهياً جزئياً ، عن الربا الفاحش : الربا الذى يتزايد حتى يصير « أضعافا مضاعفة [1] » ( ٣ / ١٣٠ ) .

---

(١) هذا هو النص الذى اعتمد عليه أصحاب نظرية الرخصة فى الربا اليسير . وسنرى تفسيره قريبا .

مكتبتنا العربية



وأخيراً وردت الحلقة الرابعة التى ختم بها التشريع فى الربا ( بل ختم بها التشريع القرآنى كله على ما صح عن ابن عباس ) وفيها النهى الحاسم عن كل ما يزيد عن رأس مال الدَّين حيث يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله . وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة . وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون . واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ( ٢ / ٢٧٨ — ٢٨١ ) .

هذه أيها السادة والسيدات نصوص التشريع القرآنى فى الربا مرتبة على حسب تسلسلها التاريخى .

وإنكم لترون الآن أن الفئة التى تزعم أن الإسلام يفرق بين الربا الفاحش وغيره ( وهى فئة من المتعلمين الذين ليس لهم رسوخ قدم فى علوم القرآن ) لم تكتف بأنها خالفت إجماع علماء المسلمين فى كل العصور ، ولا بأنها عكست الوضع المنطقى المعقول حيث جعلت التشريع الإسلامى بعد أن تقدم إلى نهاية الطريق فى إتمام مكارم الأخلاق يرجع على أعقابه ويتدلى الى وضع غير كريم ؛ بل إنها قلبت الوضع التاريخى ، إذ اعتبرت النص الثالث مرحلة نهائية ، بينما هو لم يكن إلا خطوة انتقالية فى التشريع : لم يختلف فى ذلك محدث ولا مفسر ولا فقيه .

على أننا لو فرضنا المحال ، ووقفنا معهم عند هذا النص الثالث فهل نجد فيه ربحاً لقضيتهم فى التفرقة بين الربا الذى يقل عن رأس المال ، والربا الذى يزيد عليه أو يساويه ؟

كلا ، فإنه قبل كل شىء لا دليل فى الآية على أن كلمة الأضعاف شرط لا بد منه فى التحريم ، إذ من الجائز أن يكون ذلك عناية بذم نوع من الربا الفاحش الذى بلغ مبلغاً شائعاً فى الشهرة من المعاملات الإنسانية من غير قصد إلى تسويغ [illegible]

مكتبتنا العربية



العربية تجعل كلمة « أضعافا » فى الآية وصفا للربا لا لرأس المال كما قد يفهم من تفسير هؤلاء الباحثين . ولو كان الأمر كما زعموا لكان القرآن لا يحرم من الربا إلا ما بلغ ٦٠٠ ٪ [١] من رأس المال . بينما لو طبقنا القاعدة العربية على وجهها لتغير المعنى تغيراً تاما ، بحيث لو افترضنا ربحاً قدره واحد فى الألف أو المليون لصار بذلك عملا محظوراً غير مشروع بمقتضى النص الذى يتمسكون به .

أما القول بأن العرب قبل الإسلام لم يكونوا يعرفون إلا الربا الفاحش الذى يساوى رأس المال أو يزيد عليه فانه لا يصح إلا إذا أغمضنا أعيننا عما لا يحصى من الشواهد التى نقلها أقدم المفسرين وأجدرهم بالثقة . ولقد كان الشعب العبرانى ـ الذى يعيش والشعب العربى فى صلة دائمة منذ القدم ـ يفهم من كلمة الربا كل زيادة على رأس المال ، قلت أو كثرت . وهذا هو المعنى الحقيقى والاشتقاقى للكلمة ، أما تخصيصها بالربا الفاحش فهو اصطلاح أوربى حادث . يعرف ذلك كل مطلع على تاريخ التشريع .

وبعد فإننا لا نستطيع أن نطيل الوقوف عند هذا النص الانتقالى ، لأن الذى يعنى رجل القانون فى تطبيق الشرائع إنما هو دورها الأخير . وقد بينا أن الدور الأخير فى موضوعنا إنما تمثله الآيات التى تلوناها آنفا من سورة البقرة . كما رأينا أن الشريعة القرآنية تتجه كلها منذ البداية إلى استنكار كل تعويض يطلب من المقترض . أفلا يكون من التناقض أن هذه الشريعة التى تضع الإحسان إلى الفقير فى أبرز موضع من قانونها والتى تحث على إنظار المعسر ، أو على ترك الدّين له ، تعود فتأخذ منه بالشمال ما منحته باليمين ، إذ تأذن للغنى بأن يطالبه ببعض الزيادة على الدين ؟

---

(١) ذلك لأن الربا الذى يكون أضعاف رأس المال [بصيغة الجمع] لابد أن يصل إلى ثلاثة أمثال رأس المال . فاذا ضوعفت هذه الأضعاف الثلاثة كان ستة أمثاله . وذلك مالم نره فى معاملة أجشع المرابين ، ولم نسمع به فى تشريع سابق ولا لاحق ، فيكون القرآن على رأيهم متخلفاً عن جميع القوانين فى هذا الشأن .

مكتبتنا العربية



## ( ب ) السنة :

إلى جانب هـذه النصوص القرآنية . نجد فى بيان السنة النبوية ما هو أكثر تفصيلا وأشد صرامة . فإن الرسول صلوات الله عليه لم يكتف بتحريم الربا على آكله كما ورد فى القرآن الكريم ، ولم يكتف بجعل المعطى والآخـذ والـكاتب والشاهد سواء فى اللعن والإجرام ، بل إنه أحاط هذه الجريمة بنطاق من الذرائع والملابسات جعلها حمى محرما تحريم الوسائل الممهدة إلى الحرمة الأصلية .

والطريف فى أمر هذه الإضافة أنه جعـل التحريم فيها على مراتب متفاوتة فى تدرج حكيم يتنقل من الحظر الـكلى إلى الإباحة التامة رويداً رويداً مارا بكل المراتب المتوسطة بينهما .

هـذه القاعدة الجـديدة ليس موضوعها القروض ، ولا الديون المتقررة ، بل عقود البيع أو بالأحرى المقايضات . فبعض هـذه المقايضات حظر الرسول الحـكيم أن تـكون مؤجلة ، ولو بدون ربح ؛ وأن يؤخذ فيها ربح [1] ولو كانت يداً بيد . وبعضها منع التأجيل فيها دون التفاضل ؛ وبعضها لم يمنع فيها واحدا منهما.

وإليـكم نص التشريع المذكور فى شأن المقايضات .

يقـول صلى الله عليه وسـلم فيما رواه البخارى ومسلم وغيرهما : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، [2] والقمح بالقمح . والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، يداً بيد ، سواء بسواء . فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » .

وقف أهـل الظاهر بهذا الحظر عند الأنواع الواردة فى الحـديث . وذهبت

---

(١) هذا المحظور [ الذى يسميه الفقهاء ربا الفضل ، ويسميه ابن القيم الربا الخفى ] كان موضع اختلاف بين الصحابة وكان جمهورهم على القول بحرمته . أما بعض الباحثين المصريين الذين ظنوا أن هذا الاختلاف كان فى شأن الربا القليل فقد انتقل نظرهم والتبس عليهم الأمر التباسا يؤسف له .

(٢) وفى رواية أخرى : « الدرهم بالدرهم والدينار بالدينار الخ » ويتضح أن هذه الرواية هى التى اعتمد عليها معاوية فى فتواه . انظر الحاشية الآتية قريبا .

مكتبتنا العربية



سائر المدارس الفقهية الى اعتبار هذه الأنواع أمثلة من قاعدة عامة تنطبق على سائر المواد التى تقوم عليها الحياة والتى مردها ـ فى الرأى الراجح عند الفقهاء ـ الى نوعين : الأثمان والمطعومات .

ومهما يكن من أمر فى شأن هذا الاختلاف الفرعى ، فإن هذه القاعدة تقضى بتقسيم الأشياء التى يراد تبادلها إلى ثلاثة أضرب : « الضرب الأول » أن يكون البدلان من نوع واحد ، كالذهب بالذهب ؛ فهنا يخضع التبادل لشرطين اثنين : التساوى فى الكم ، والفورية فى التبادل ، أعنى عدم تأجيل شىء من البدلين . « الضرب الثانى » أن يكونا من نوعين مختلفين من جنس واحد ، كالذهب بالفضة وكالقمح بالشعير ؛ فهنا يشترط شرط واحد ، وهو الفورية ، فلا يضر اختلاف الكم . « الضرب الثالث » أن يكونا من جنسين مختلفين كالفضة والطعام ، فلا يشترط فى هذا شىء من القيدين المذكورين ، بل يكون التقايض فيهما حراً .

هكذا كلما كان البدلان من طبيعتين مختلفتين تمام الاختلاف ، بحيث لا توجد شبهة القصد إلى القرض بفائدة ، فإن الشريعة لا تضع أمام حرية التبادل حداً من الحدود ، اللهم إلا المبدأ العام فى المعاملة ، وهو تحرى الصدق والأمانة . فإذا ما أخذت طبيعة البدلين تتقارب ، بدون أن تتحد ، نرى عند المشرّع شيئاً من الحذر المعقول ، المبنى على احتمال أن يكون المتعاملان يقصدان إلى معاملة ربوية ؛ ولذلك نجده مع ترخيصه لهما بتفاوت البدلين فى الكم يحظر عليهما تأجيل أحد العوضين ، سداً للطريق أمام فكرة القرض المحرم تحت ستار البيع . أما إذا اتحدت طبيعة البدلين ( مع التفاوت فى الأوصاف والقيم طبعاً ، وإلا لما كان هناك معنى للتبادل ) فإنه من السهل أن نفهم الحكمة التى من أجلها منع تأجيل البدل ، وذلك أن من شأن هذا التأجيل أن يحمل فى طيه فكرة محظورة ، وأن يكون القصد هو القرض باسم البيع .

ولكن الذى يصعب فهمه هنا هو إلزام المتبادلين فى حال الدفع على الفور بأن تتساوى الكميتان المتبادلتان بينهما . فهل معنى ذلك أن الشريعة تتجاهل إلى هذا الحد فروق الكيفيات التى فى كل من العوضين ؟

إن الجواب على هذا السؤال نجد مفتاحه فى الحديث الذى رواه مسلم فى جامعه

مكتبتنا العربية



الصحيح . يروى لنا هذا الإمام أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من التمر . فقال له النبي : « ما هذا من تمرنا » فقال الرجل : يا رسول الله بعنا تمرنا : صاعين بصاع . فقال صلى الله عليه وسلم : « ذلك الربا . رُدُّوه ، ثم بيعوا تمرنا ، ثم اشتروا لنا من هذا » .

ها هنا نلمح الهدف الذى ترمى اليه القاعدة ، ونطمئن إلى أنه ليس من شأنها أن تفرض على المتبادلين ـ اعتباطا أو تعنتا ـ تساوى الكمية بين صنفين مختلفين من نوع واحد ، بل أنها على العكس من ذلك فتحت لهما باب الاختيار بين أمرين يمتنع معهما كل قهر وإلزام ؛ ذلك أنها خيرتهما بين أن يتغاضيا عن الفروق الطفيفة التى بين الصنفين ، أو أن يلجآ فى تقدير تلك الفروق إلى حكم القيمة النقدية .

ونحن إذا تأملنا فى هذا الوضع نجده ينطوى على حكمة عميقة ويقوم على مبدأ سليم من مبادئ التشريعين المدنى والاقتصادى . ذلك أنه حيث يكون هناك كميتان متساويتان من نوع واحد ولكن أحداهما تمتاز بجودة أوصافها ، لا يكون هناك مجال للتردد : أيّ المتبايعين أوفر حظا ؟ فالذى يقبل الصنف الأقل جودة يقبله بملء حريته عن سماحة نفس وكرم طبع ، وهو عالم بما يفعل . وليس الأمر كذلك فى الحال التى تكون فيها الجودة من ناحية يقابلها وفرة فى الكم من الناحية الأخرى ؛ إذ نرى هاهنا تقابلا بين أمرين ليس بين طبيعتيها مقياس مشترك ثابت ، صالح لتقويم كل منهما بالنسبة إلى هذا الحد المشترك ، ثم بالنسبة إلى الطرف المقابل . والواقع أنه فى هذا النوع من التبادل يلجأ كل من المتعاملين فى نفسه إلى فكرة غامضة ، وهى إرادة التضحية بما هو أدنى فى سبيل ما هو خير منه . وهكذا يصبح قبولها الظاهرى للصفقة قبولا زائفا ، وقد ينكشف عن خيبة أمل . ولامخرج من هذا اللبس إلا بالرجوع إلى القيمة الثمنية لكل بضاعة على حدة ، ثم إلى المقارنة بينهما على ضوء هذا المقياس الثابت . وهذا ( الرجوع إلى المقياس الثابت ) هو المعنى الذى قصد التشريع الإسلامى إبرازه حتى يكون كل من طرفى العقد على بينة فى معاملته المالية ، وحتى يجتنبا التدليس ، ويتطهرا من السحت المأخوذ بالحيلة والمكر .

فإذا صح ما ذهبنا إليه فى تفهم مقاصد الشريعة من هذا الحكم لم يبق هناك

مكتبتنا العربية



حرج قط - كما أوضحه ابن القيم [١] فى أعلام الموقعين ج ٢ ص ٢٧٣ - فى أن تباع المصوغات الذهبية بأكثر من وزنها ذهباً ، أو المصوغات الفضية بأكثر من وزنها فضة . ذلك لأن قيمة الصنعة قد قدرت هنا بمعيارها الواضح المحدد ، الذى لا يدع مجالا لتزييف تراضى المتبايعين .

على أن هـذه الرخصة فى المبادلة بين الصياغة والنقد لا ينبغى أن تسرى على التبادل بين نقدين من نوع واحد مع اختلافهما فى الأوصاف ؛ بل الاعتماد فى النقدين على تساوى العوضين وزناً ( بدون اعتبار لجمال الضرب أو جدته أو عدد قطعه أو غير ذلك ) هو الحل العادل ، أو هو أعدل الحلول ؛ إذ لو اعتبرت هذه الصفات ونحوها فى النقود مبررة لزيادة قيمتها فى المبادلة ، إذاً لأصبحت النقود نفسها بضاعة ، وصارت معرضاً للمضاربة وتقلب الأسواق ، وعادت محتاجة إلى معيار آخر لتقدير قيمتها ، بدل أن تكون هى المعيار لغيرها .

ولـكى نلخص فكرتنا عن القواعد التى وضعها التشريع النبوى فى باب التبادل والتقابض ، نقول : إن هذه القواعد تهدف إلى غرض مزدوج :

فهى من إحدى الجهتين تريد أن تحمى النقود والأطعمة ، وهما أهم حاجات الجماعة وأعظم مقومات حياتها ، وذلك بمنع وسائل احتكارهما أو إخفائهما من الأسواق ، أو تعريضهما للتقلبات الثمنية المفاجئة . .

وهى من الجهة الأخرى تحرص على حماية الفقراء والأغرار من طرق الغبن والاستغلال التى يتبعها بعض التجار الجشعين .

وواضح أن تسمية الربح المجتلب من طريق هذا التبادل الذى تنقصه الصراحة والأمانة باسم « الربا » إنما هى تسمية مجازية قصد منها إلى إبراز ما فيه من مخالفة لقانون الأخـلاق ، ومجافاة لقواعد الرحمة الإنسانية . وذلك بتشبيهه بالربا الحقيقى الذى هو مثل فى السحت وأكل المـال بالباطل . [ للبحث تكملة ]

---

(١) سلفه فى هذه الفتوى معاوية بن أبى سفيان . ويخالفه فيها عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبو الدرداء . راجع الموطأ فى كتاب البيوع ، باب بيع الذهب والفضة . ويرى ابن القيم أن هذ الاختلاف إنما هو فى الصياغة المحرمة كصياغة الآنية . وعلى هذا تكون الصياغة المباحة محل اتفاق على جواز الفضل فيها نقداً .

مكتبتنا العربية



# لغويات

للأستاذ الشيخ محمد على النجار
الأستاذ بكلية اللغة العربية

---

وما بتا ألف قد جمعا  يكسر فى الجرّ وفى النصب معاً

قد يأخذ قارىء اللغويات العجب أن يكتب بيت من الألفية فى هذا الموطن. وما شأن الألفية باللغويات! وللألفيّة مجال فى مواطن الدرس، وخطوة فيها جليلة. ولعل كتاباً لم يحظ بما حظيت به الألفية فى الانتشار والإقبال، وخدمة العلماء لها بالشروح والحواشى. وليطمئن القارى، فما كان من همى هنا أن أتناول بيت الألفية بالشرح والتقرير، والإيضاح والإبانة. وإنما حدانى على إيراده هنا أنه وقع بحث وجدل طويل الذيل حول قراءة «بتا» فى البيت. فهل يقرأ بتنوين «تا» أو يقرأ دون تنوين. والتنوين فى هذه الكلمة وأمثالها يكاد لا يعرفه الناس، فقد درجوا على قراءة أمثال هذا دون تنوين. ويماثل هذا البيت قول ابن مالك أيضاً:

واقرن بفا حتما جوابا لو جعل  شرطاً لإن أوغيرها لم ينجعل

وكذلك قوله:

طا تا افتعال ردّ إثر مطبق.

والنظر هنا إلى «طا» لا إلى «تا افتعال» فإن «تا» فيه مضاف، فهو غير منون.

والخلاف فى قراءة هذه الكلمات قديم، فقد عرض له الراعى النحوى الأندلسى الذى نقلنا[1] عنه فى إحدى اللغويات السالفة. فنراه يقول فى المسألة السابعة والعشرين من كتابه «الأجوبة المرضية عن الأسئلة النحوية»:

«سمعت كثيراً من صدور الطلبة بمصر يحذفون التنوين من «بتا» فى قول ابن مالك:

---

[1] انظر ص ٧٢٠ من مجلة الأزهر فى السنة المصرية سنة ١٣٧

مكتبتنا العربية



وما بتا وألف قد جمعا .

ومثله قوله فى آخر الألفية :

ذو اللين فاتا فى افتعال أبد لا

فتمرأته على بعضهم ، وسألتهم عن طا ، فى قوله :

طا تا افتعال . . .

فنونوه ، فطلبتهم بالفرق فانقطعوا ، ولم يعرفوا أصل المسألة ، وبلغنى أن بعض كبار الشيوخ سئل عن ذلك فتوقف . وسألنى بعضهم عن ذلك .

وسأعرض لهذه المسألة بشىء من البسط :

إن الكلمات التى هى موضوع الحديث فى لأصل حروف هجائية . وهى من بين الحروف الهجائية ، ثنائية ثانيها ألف . والكلمات الهجائية عامة لها حالتان :

١ — الحالة الأولى أن تستعمل للتهجى وتعليم الصبيان . وهى فى هذه الحالة موقوفة ، أى ساكنة غير منونة . ولا يدخل عليها عامل فى هذه الحالة . ويرى سيبويه ، أنها مبنية ؛ لأنها تشبه الأصوات . ويرى فريق أنها موقوفة لا معربة ولا مبنية ، وللنحويين خلاف طويل فى هذا لا يعنينا فى هذا المكان .

٢ — الحالة الثانية أن تخرج عن حالة التهجى وتجعل أسماء ، وتدخل فى التراكيب ، ويتسلط عليها العامل النحوى . فتقول مثلا : كتبت باء وفاء ، وهكذا .

ويرى سيبويه فى هذه الكلمات الثنائية إذا انقلبت إلى طور الأسماء أن تحور ثلاثية ، وتهجر الثنائية التى كانت عليها . وذلك بإضافة همزة إليها ، فيقال : باء ، وتاء ، وفاء ، وراء ، وهكذا . وهذه الهمزة جاءت بدلا من الألف التى لحقت الكلمة تضعيفاً لآخرها ، وهو الألف ؛ كما لو سميت بلا وما ، فتقول : لاء ، وماء ، ونحن فى هذا نتبع العرب إذا سمت بالأداة الثنائية التى ثانيها حرف لين ، فقد قالت فى ( لَوْ ) إذا جعل اسما ( لوّا ) بالتشديد ؛ كما قال :

ألام على لوّ ولو كنت عالما بأذناب لوّ لم تفتنى أوائله

وهذه الكلمات فى هذه الحالة وقد صارت ثلاثية معربة منوّنة ؛ إذ ليس

مكتبتنا العربية



ما يوجب بناءها ولا حرمانها تنوين الصرف . وهى ممـــدودة لا تقصر إلا لضرورة الشعر .

وهاك قول سيبويه [١] : « وأما البا ، والتا ، والثا ، واليا . والخا ، والحا ، والرا ، والطا ، والفا ، فإذا صرن أسماء مُددن كما مُدت لا ، ويريد بجعلها أسماء أن تخرج عن التهجى وتدخلها فى التراكيب . وقوله : « كما مُدت لا » أى إنك تضعف الحرف الثانى ـ وهو الألف ـ فيجتمع ألفان ، فتبدل من الثانى همزة ، كما تفعل فى لا إذا سميت بها ، فتقول : لاء . ويقول السيرافى فى كتابته على هذا الموضع من الكتاب : « وهـذه الحروف التى ذكرها ـ من الباء إلى الفاء ـ إذا بنيناها ، فكل واحد منها على حرفين الثانى منهما ألف . فهى بمنزلة لا وما . فإذا جعلناها أسماء مددنا ، فقلنا : باء ، وتاء ؛ كما تقول : لاء ، وماء ، إذا جنحنا إلى جعلها أسماء » .

ويقول ابن جلى فى سر الصناعة : [٢] « اعلم أن هذه الحروف ما دامت حروف هجاء سواكنُ الأواخر فى الدَرْج والوقف ؛ لأنها أصوات بمنزلة صهْ ومَهْ . فإن وقعت موقع الأسماء أعربت ، ويقول أيضا : [٣] فأما ما كان نحو با ، تا ، حا ، طا ، فإنك متى أعربته لزمك ألى تمده ، وذلك أنه على حرفين الثانى منهما حرف لين ، والتنوين يدرك الكلمة ، فيحذف الألف لالتقاء الساكنين . فيلزمك أن تقول : هـذه ظاً يا فتى ، ورأيت طاً حسنة ، ونظرت إلى طاً حسنة ، فيبقى الاسم على حرف واحد ... فإذا كان الأمر كذلك زدت على ألف با ، تا ، طا ، حا ، ونحو ذلك ألفاً أخرى ؛ كما رأيت العرب فعلت لما أعربت ، فقالوا :

ليت شعرى وأين منىَ ليت  إن ليتاً وإن لوّاً عناء

فكما زادت العرب على هذه الواو واواً أخرى ، وجعلت الثانى من لفظ الأول لأنه لا أصل له فترجع إليه عند الحاجة إليه كذلك زدت على الألف من با ، تا ، ألفاً أخرى ... فصار التقدير با ا ، تا ا ، طا ا ، ها ا فلما التقت ألفان ساكنتان

---

[١] الكتاب ٢/٣٤ [٢] انظر الخزانة فى الشاهد التاسع [٣] انظر أواخر سر الصناعة .

مكتبتنا العربية



لم يكن من حذف إحداهما أو حركتها بُدّ ، فلم يَسُغْ حذف إحداهما لئلا تعود إلى القصر الذى منه هربت ، فلم يبق إلا أن تحرك إحداهما . فلما وجب التحريك لالتقاء الساكنين كانت الألف الثانية بذلك أحرى ؛ لأنك عندما ارتدعت ؛ إذ كنت إليها تناهيت . فلما حركت الثانية قلبتها همزة » .

وكذلك صنع أيضاً المرضى [1] فى شرحه للكافية .

وعلى ما أبديناه من رأى سيبويه ومن تبعه تكون هذه الكلمات الثنائية فى الأصل إذا دخلت فى التركيب ممدودة معربة منونة عند عدم الإضافة وأداة التعريف ، ولا يجوز قصرها فى الاختيار ، وإنما تُقصر فى ضرورة الشعر ، فإذا قصرت فى الشعر نونت وبقيت الكلمة على حرف واحد . وهذا ورد منه حرف شاذ حكاه الكسائى ، وهو شربت ما يا فتى .

وعلى هذا يقرأ بيت أبى مالك الذى صدرنا به الحديث :

وما بتا وألف قد جمعا .

وهكذا ما ماثله .

وعلى هذا مشى الشاطبى فى شرحه للألفية ، فهو يقول عند قول ابن مالك :

بتا فعلت وأتت ويا افعلى ونون أقبلن فعل ينجلى

« وقصر ( تافعلت ) و ( يا افعلى ) ضرورة . وكان الأصل أن يقول : بتاء فعلت ، ويا افعلى . وقد جاء مثله فى الكلام شاذاً ؛ حكى الكسائى : شربت ماَ يافتى ، ويقول عند قول ابن مالك :

وماضى الأفعال بالتا مِزْ وسم .

« وقصر التاء ضرورة كما تقدم ، وهذه عادته فى أمثال ذلك ، لا يتحاشى عنه ولا عن غيره من الضرورات الشعرية واللغات النادرة لداعية الوزن والقافية » .

وكذلك يفعل المعرب الشيخ خالد ، فهو فى إعراب الألفية يحمل أمثال ما نحن فيه على الضرورة ، ويقول الصبان عند البيت الذى هو فى صدر البحث :

---

( ١ ) ج ٣ ص ١٤١

مكتبتنا العربية



« (قوله بتا) بالتنوين ؛ لأنه مقصور للضرورة على ما مر . والمقصور إذا لم تدخل عليه أل ولم يضف ولم يوقف عليه ينون » .

وبذلك يجيب الراعى ، فهو يقول : « والجواب أن حذف التنوين منها غلط ؛ لأن تا ، وفا ، وطا ، ونحوها من أسماء الحروف ثلاثية الحروف ولامها همزة ؛ لأن أصلها تاء وفاء وطاء ونحو ذلك بهمزة فى الآخر ، فلما اضطر الشاعر حذف الهمزة ضرورة على غير قياس ؛ كما حذفت لام يد ودم فى الفصيح على غير قياس أيضاً ، فعاد الإعراب لذلك ، وعاد التنوين لما قبل الألف فنوّن ، كما كان ذلك فى عصا وفتى ؛ لأن أسماء الحروف لا موجب لمنع صرفها ؛ لأنها نكرات ، ولذا يصح دخول أل عليها ، ولابد لها من تنوين التمكين ، والتنوين لا يصحب ساكناً وإنما يصحب المتحرك ، فيتبع آخر حركة الإسم ، فصار مقصوراً كما مر . وإنما غرّ الجماعة فيه حذف التنوين من ( تا ) فى قوله : بتا فعلت وأتت ويا افعلى ، وسيأتى أنه مضاف لفعلت » .

وقد أحسن الراعى ما شاء له الإحسان فى هذا البيان والإيضاح . غير أن قوله : « لأن تا وفا وطا ونحوها من أسماء الحروف ثلاثية الحروف » لم يعجب بعض الناظرين فى كتابه ، فكتب فى هامشه : « قوله : ثلاثية الحروف ممنوع ، بل هى ثنائية » ثم ساق كلاما للرضى فحواه أنها ثنائية الحروف وضعا والراعى لم يدع أنها وضعت ثلاثية ، وإنما يذكر أنها وهى أسماء ثلاثية ، وهذا لا نكير . فقد علمت أنه رأى الرضى نفسه ، ومن قبله سيبويه وابن جنى .

وبعد فلن يعجز الباحث أن يجد لما درج عليه الناس من ترك التنوين فى (بتا) فى البيت الذى صدرنا به البحث وفى نمائله مخرجا ووجها .

فنرى السيوطى فى الهمع[1] يقول : « ( وأسماء الحروف ) ألف ، با ، تا ، ثا ، إلى آخرها ( وقف ) كما جاءت فى القرآن ألم ( إلا مع عامل فالأجود ) جينئذ فيها ( الإعراب ومد المقصور ) منها ؛ نحو كتبت باء وتاء . ويجوز فيها الحكاية كحالها بلا عامل ؛ نحو كتبت با ، وتا ، وجيم ، وحاء . ويجوز ترك المد بأن يعرب مقصورا منونا ؛ نحو كتبت « با » .

---

(١) ٢/١٥٥ .

مكتبتنا العربية



فنرى أن السيوطى يجيز أن يقال : كتبت حا دون تنوين ، كما يجوز ذلك بالتنوين فى الاختيار ، ولا يختص هذا عنده بالشعر . وعلى ذلك يقرأ قول ابن مالك : وماتبا وألف قد جمعا .

بترك تنوين (تا) وبتنوينه . فالتنوين ليس ضربة لازم ـ ، وترك التنوين يكون بحكاية الكلمة ومراعاة حالها قبل أن تكون اسما .

وقد ترسم السجاعى خطا السيوطى ، فهو يقول فى كتابته على قول ابن مالك بتا فعلت وأتت ويا افعلى .

. ( قوله بتا فعلت ( بقصرتا : لأن ما كان من حروف الهجاء مختوما بألف يجوز قصره ومده بالاجماع ؛ كما قاله الحافظ فى الهمع ، فقس على هذا ما ياتى من أمثاله ، ولا تقلد المعرب وغيره ممن يقول بالضرورة فى نحو ذلك » .

ومن الجلى أنه يريد بالحافظ السيوطى . وتراه يدعى على السيوطى الاجماع على ما ذكر ، وليس هذا فى الهمع كما رأيت ، وكأنه فهمه من أن السيوطى لم يذكر فى المسألة خلاف . وقد علمت أن سيبويه وجمهور النحويين على خلافه .

وكأن السيوطى أخذ كلامه من الارتشاف ، فقد ذكر أبو حيان فيه أن الفراء حكى فى الحروف الهجائية إذا جعلت أسماء الحكاية لحالها قبل أن يدخل عليها عامل ، فيقال : كتبت با وتا دون تنوين . ثم قال : « وقد يقال : هذا با ، وكتبت با . وهذا شاذ » .

ونرى الرضى لايقر الحكاية ويشتد فى النكير عليها . فهو يقول : «[٢] ولاتجوز الحكاية فى أسماء حروف المعجم مع التركيب مع عاملها ، فلا تقول : كتبت باحسنة ، كما جاز فى نحو منْ وما ، وليت إذا جعلت أعلاما للفظ : لأنها موضوعة لتستعمل فى الكلام المركب مع البناء ، فجاز لك حكاية تلك الحال فى التركيب ، بخلاف أسماء حروف المعجم ، فإنها لم توضع إلا لتستعمل مفردات لتعليم الصبيان ومن يجرى مجراهم موقوفا عليها ، فإذا استعملت مركبة مع عاملها فقد خرجت عن حالها الموضوعة لها فلا تحكى .

---

(٢) شرح الكافية ٢ / ١٢١ .

مكتبتنا العربية



على أن الرد على الرضى ليس بالعسير . فإن أبا حيان حكى عن الفراء أنه حكى الحكاية . ومعنى ذلك أن الفراء سمع هذا عن العرب ، والفراء ثقة فيما يروى . وهذه الكلمات تشبه الأدوات كمن وما وليت ، فهذا الشبه سوغ فيها الحكاية . ولا نظر إلى قول ابى حيان بعد إيراده كلام الفراء : « والذى عليه كلام العرب والإعراب » .

هذا ، ويرى بعض الباحثين أن هذه الحروف النائية فى الأصل بعد أن تجعل أسماء يجوز قصرها فى الاختيار ، وهى حينئذ مبنية ، غير منونة ، وهو يوجه بناءها بأنها وضعت على حرفين ثانيهما حرف لين ، وهذه حجة داحضة . ذلك أن لهذه الكلمات طورين مختلفين ، كما أسلفت ذلك ، فهى حين تجعل أسماء يجب أن تكون ثلاثية . وهذا طور غير طورها الأول الذى كانت فيه للتهجى ، ونرى هذا الرأى فى كتابة السجاعى على ابن عقيل إذ يقول : « واعلم أن الشاطبى ذكر أن مالم يضف من أسماء هذه الحروف منون ، على حد « شربت ما » بالقصر . ورد عليه بأن فيه إجحافا . فالصواب ـ كما قال الأستاذ أبو عبد الله الصغير ـ عدم تنوينها ؛ لأنها مبنية ؛ لوضعها وضع الحروف » .

وهناك احتمال آخر فى توجيه ترك تنوينها . وهو أن يدعى فى قوله : « وما بتا وألف . . . » أن ( تا ) علم وهو مؤنث ـ فى أحد وجهيه ـ فيمنع الصرف لذلك . ويبطل هذا الاحتمال ، أن هذه الأسماء نكرات تعرف بأل ، كما هو معروف . تقول : هذه باء حسنه ، وكتبت الباء التى تراها . ويقول فى ذلك الراعى : « فإن قلت : الحروف كلها تذكر وتؤنث ، فلم لم يدع فيها منع الصرف عند تأنيثها ؟ قلت : أسماء الحروف نكرات ؛ كرجل وفرس ، فلا تعرف إلا بأل أو الإضافة » .

وقد بقى رأى أخير فى تسويغ ترك تنوينها ، مع استحقاقها له . وهو معاملتها معاملة الموقوف عليه ، وإن كانت فى الوصل ؛ إجراء للوصل بجرى الوقف ، وفى بيان هذا الرأى يقول الصبان فى بيت جمع المؤنث السالم : « ويجوز ترك تنوينه للوصل بنية الوقف ، وإجراء الوصل مجرى الوقف يجرى فى الشعر كثيرا ، كقول الراجز :

لما رأى أن لا دعه ولا شبع  مال إلى أرطاة حقف فالطجع

مكتبتنا العربية



فتراه يقول : « دعهُ » بالهاء ساكنة ، أو هى فى الوصل دعه بالتاء المفتوحة . وجاء فى قراءة حمزة فى سورة فاطر : ( استكبارا فى الأرض ومكر السيء ) بسكون الهمزة فى السيء فى الوصل ، وخرجب هذه القراءة على إجراء الوصل مجرى الوقف وفى ذلك يقول أبو على الفارسى فى الحجة : « فأما قراءة حمزة ( ومكر السيء ) وإسكانه الهمز فى الإدراج فإن ذلك يكون على إجرائها فى الوصل مجراها فى الوقف فهو مثل ( سبسبا ) و( عيهل ) و ( القصبا ) و ( حدبا ) . وهو فى الشعر كثير . ومما يؤيد ذلك أن قوما قالوا فى الوقف : أفعى وأفعو ، أبدلوا من الألف الواو والياء ، ثم أجروها فى الوصل مجراها فى الوقف ، فقالوا : هذا أفعو ياهذا :

غير أن إجراء الوصل مجرى الوقف ليس سبيلا معبدة فى الكلام ؛ إذ لو اتبعت لبطل الإعراب ، وإنما سبيله الوقوف عندما سمع ـ وهو نادر جداً ـ أو عند ضرورة الشعر ، وليس فى البيت ضرورة ، فإن البيت يصلح على الوجهين : « وما بتاء » و « ما بتا » . والله الموفق للصواب ؟

---

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## الهيبة

أحسن ما قيل فى الهيبة قول العلامة أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد قال :

يا من يجرد من بصيرته ... تحت الحوادث صارم العزم
رعت العدو فما مثلت له ... إلا تفريح منك فى الحلم
اخفى لك التدبير مطرداً ... مثل اطراد الفعل للاسم
رفع الحسود إليك ناظره ... فرآك مضطلعاً مع النجم

وقال الأخطل :

تسمو العيون إلى إمام عادل ... معطى المهابة نافع ضرار
وترى العيون عليه إذ لحته ... سيم الحليم وهيبة الجبار

مكتبتنا العربية



# قضيـــــة البعث

## بين العقل والنقل

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى

خلق الله الخلق ، وقضى بإفنائهم بعد استيفاء آجالهم ، حسبما قدر وقضى ، بأن يبعثهم لحياة أخرى يجزون فيها على ما عملوا جزاء أساسه العدل المطلق الذى تطمئن اليه النفس .

كل ذلك لحكمة وبتدبير من عليم حكيم « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وهو العزيز الغفور » . والذى يخلق الإنسان مستعداً لما لا يتناهى من الكمال بما وهبه من العقل الذى لا يقف عند حد فى العلم وإرسال أشعة الفهم إلى أسرار الكائنات . ودقائق الموجودات ، لا ينشئه هذه النشأة الرفيعة لتكون غايته غاية سائر الحيوان مما لم يعط استعداده ولم يمد أمداده ، بل تقضى حكمته فى هذا الخلق العظيم أنه يجعل له حياة بعد هذه الحياة يستثمر فيها أعماله ، ويوافى فيها كماله ، ولو أنه أسدى إلى الإنسان من المواهب ما أسدى ثم تركه بعد ذلك سدى ، لم يكن ذلك إلا من العمل الجزاف الخالى من البصر والحكمة . بل من العدل والإنصاف » .

اضطر العقل البشرى بعد أنه وجد نفسه ووجد عوالم بعيدة عنه وقريبة اليه حقائق ثابتة تأخذ بسمعه وبصره إلى التسليم بالخلق والموجودات ، ولكنه شك فى البعث ، أى فى إعادة الخلق مرة أخرى للجزاء ، ولج فى الشك ، بل أنكر ذلك وبالغ فى الانكار . وقد حكى القرآن إنكاره فى صور شتى « أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد » « أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون » . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، إلى أمثال هـذه الصور والعبارات . وهى كثيرة فى القرآن .

مكتبتنا العربية



وكان مبعث الشك والإنكار أن تعود الرفات والرمم أجساماً تنفخ فيها الروح وتدب فيها الحياة ، وتسمع وتفهم ، وتجيب كما يجيب الأحياء ، بعد أن ألح عليها البلى ، وتفرقت أجزاؤها ، وقد تحللت عناصرها . وتوزعتها الأجسام ، وتبادلتها الأبدان عن طريق الغذاء أو الهواء .

وقد وقف الناس من قضية البعث فريقين : فريق الفلاسفة ، وفريق رجال الدين ، ومن تبع الفريقين ، أما الفلاسفة فقد ركنوا إلى عقولهم ، وإلى أدلتهم فى إثبات البعث أو إنكاره ، فأعيوا أنفسهم ، ومن نهج نهجهم وتنكب الجادة معهم ، ثم خرجوا أو خرج كثير منهم من الموضوع ، كما دخل فيه بعد طول الشقة والمعاناة فى الاستدلال ، وجعلوا من تلك القضية مهامه تكتنفها الشبهات ، وتزيغ فيها الأبصار ، وتضل فيها العقول ، ولا تنتهى إلى غاية . ويؤثر العاقل أن يسلم بعقله ودينه ، فلا يطرقها ولا يخوض فيها .

أجل : أعيا الفلاسفة أنفسهم ، وأعيوا غيرهم فى ذلك السبيل : ذلك لأنهم لم يقفوا به عند حد الإجمال والتسليم ، كما أراد الله لعقولهم وعقول البشر عامة ، رحمة بهم وإشفاقاً عليهم ، ولكنهم آثروا التفصيل فيه وحاولوا أن يكيفوه ويصوروه ، ويكيفوا شئون البرزخ والآخرة كلها ، ويصوروها كما يكيفون شئون الدنيا . وغفلوا عن أن للآخرة شئوناً من جرأة العقل ، بل ومن جهله بقدره أنه يطرقها ، بل وأن يحوم حول حماها . وفى عالم الدنيا الضيق شئون لم يكشف العلم أستارها ، ولم يزل يعترف بعجزه عن حلها واكتناه أسرارها .

على أن لنا أن نتهم الفلاسفة : وكيف ساغ أن يفرقوا بين الخلق أولا والخلق ثانياً الجزاء ، وما مبعث التفريق والخلقات ، سواء فى مكان القدرة الإلهية ، بل إن الخلق الثانى لأهون فى نظر العقل ، وبحرى الإلف والعادة كما قال تعالى : « وهو يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » .

أما رجل الدين والمؤمنون عامة من جميع الأديان فقد آمنوا بالبعث كما أمروا أن يؤمنوا به ، واقتنعوا بما جاء فى الأديان من الأدلة عليه . وإنها لأدلة بجملة . ولكنها قاطعة ، وموجزة ولكنها دامغة . وقد قاس الله إعادة الخلق على بدئه فقال : وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وقال : « من يحيى العظام

مكتبتنا العربية



وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . . وضرب له مثلا إحياء الأرض بالخضرة والنبات بعد أن كانت جدبة هامدة ميتة فقال : « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور . .

ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج .

ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير .

بهذه الأقيسة المجملة القاطعة ، وتلك الأمثلة الواضحة الظاهرة أقام الله الحجة على إمكان البعث لذوى العقول السليمة والفطر المستقيمة . والنفوس المستعدة لسماع الحق وقبوله والانتفاع به . ومن رحمة الله بعباده ، أن أقالهم من تكييف البعث وتصويره وجعل ذلك شأناً من شئونه ، وما أكثر شئونه الخاصة به . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

وقد جعل علماء الكلام شأن البعث وشئونا أخرى من شئون الآخرة من الأمور السمعية ، أى التى يجب الإيمان بها عن طريق السمع لا العقل ، وأن الناظر فيما أورد فى القرآن من الأدلة ليرى مجال العقل فى بعضها واسعاً بل واضحاً كقضية البعث فهى قضية العقل لا السمع وبالتالى فهى قضية عقلية لا سمعية ، ولعل وجههم فى ذلك أن الذى أرشد العقل إلى ذلك هو القرآن ، فهو الذى قاس إعادة الخلق على بدئه ، وهو الذى ضرب المثل . إحياء الموتى بإحياء الأرض ولولاه ما اهتدى العقل ولا وصل إلى طريق الحق فيه .

وقد اختلف المتكلمون فى البعث أيكون جسمانيا فحسب أم يكون جسمانيا وروحانيا معاً ، وأكثرهم على الأول ، ولكل منهم دليله ووجهته كما يعلم من كتب الكلام .

مكتبتنا العربية



# فيثاغورس . . .

## حيـــــــاته

للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى

مدرس الفلسفة بالجامعة

---

اشتهر فيثاغورس فى تاريخ الفلسفة شهرة واسعة ، حتى لقد ذهبوا إلى أن اسم الفلسفة من وضعه ، وكان الناس قبل ذلك يؤلهون الحكماء ، فأنزلهم إلى مرتبة البشر وقال « لست حكيما ، ولكنى أوثر الحكمة » والمؤثر للحكمة هو باليونانية الفيلسوف ، كما فصل ذلك الفارابى ، من « فيلا » بمعنى محب ، و « سوفوس » بمعنى الحكمة .

وعندما تحدث الفارابى عن فرق الفلاسفة وقسمها سبعة أقسام ، جعل أول قسم منها تلك الفرقة المشتقة من اسم الرجل المعلم للفلسفة ، وهذه الفرقة هى أصحاب فيثاغورس .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وعقد الشهرزورى فى كتابه « نزهة الأرواح » فصلا فى ابتداء أحوال الفلاسفة ، وحدثنا عن طاليس فقال « ذكروا أن أول من ظهر منهم بالفلسفة وعُرف بالحكمة على اختلاف بينهم فى ذلك طاليس الملطى . . . » وبعد أن عرض فى إيجاز آراء الفلاسفة الذين تأثروا خطى طاليس ، قال : « وقيل إن للفلسفة مبدأ آخر هو من فيثاغورس بن منسارخوس من أهل سامنا ( يريد ساموس ) وهو أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم . . . »

وهذا يطابق ما أورده ابن النديم فى الفهرست فى فصل بعنوان « أول من تكلم فى الفلسفة » قال « قال لى أبو الخير بن الخمار بحضرة أبى القاسم عيسى بن على ، وقد سألته عن أول من تكلم فى الفلسفة فقال : زعم فرفريوس الصورى فى كتابه التاريخ — وهو سريانى — أن أول الفلاسفة السبعة طاليس . . . . وقال آخرون : إن أول من تكلم فى الفلسفة « بوثاغورس » وهو بوثاغورس بن ميسارخوس

مكتبتنا العربية



من أهل سامينا . وقال فلوطرخس إن بوثاغورس أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم ، وله رسائل تعرف بالذهبيات ، وإنما سميت بهذا الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب إعظاما لها وإجلالا . والذى رأينا لبوثاغورس من الكتب : رسالته فى السياسة العقلية ، ورسالته إلى متمردى صقلية ، ورسالته إلى سيفانس فى استيفاء المعانى » .

أما الذى حكاه القفطى فى أخبار الحكماء ففيه خلط وابتعاد عن التحقيق واعتقاد فى الأساطير . قال عنه « الفيلسوف المشهور المذكور من فلاسفة يونان وحكمائهم ، كان بعد أبيذقليس الحكيم بزمان ، وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان ابن داود بمصر حين دخلوا اليها من بلاد الشام . . . . » وسوف نرجع إلى هذه الرواية عند الحديث عن رحلات فيثاغورس .

من هذا نرى أن المسلمين عرفوا فيثاغورس ، وعرفوا منزلته من الفلسفة ، ونقلوا أخباره عن مؤرخى الفلسفة اليونانية الذين دونوها . لكن فى عصر متأخر مثل فرفريوس الصورى صاحب كتاب « تاريخ الفلاسفة » ، وفلوطرخس المؤرخ المشهور . كما نص ابن النديم على ذلك .

وقد لعبت آراء فيثاغورس ، أو على الأصح المدرسة الفيثاغورية أو الفيثاغوريين ، دوراً عظيما فى تاريخ الفلسفة الإسلامية . ويكفى أن تلقى نظرة إلى رسائل إخوان الصفا ، فتجد فى أولها رسائل العدد ، وهى التى ثبت أنها منقولة عن فيثاغورس . وليس غرضنا الآن أن نتحدث عن آراء فيثاغورس وعن أثرها فى الفلسفة الإسلامية ، وموعدنا عن ذلك فى القريب بعد أن نتم الحديث عن سيرته ، ثم عن مدرسته ، ثم عن آرائه .

ولنعد إلى الكلام عن حياته محاولين الترجمة له ترجمة علمية . وأول ما يجب أن نفعله هو أن ننظر فى المصادر التى نستقى منها هذه الترجمة مع بيان قيمتها .

وقد نظر المؤرخون المحدثون فى الفيثاغورية ، ورجعوا إلى مختلف المصادر فى أصولها اليونانية . ثم رتبوا هذه المصادر من حيث زمنها ثلاثة أقسام :

الأول : ما جاء من إشارات إلى فيثاغورس عند المعاصرين له من الفلاسفة .

مكتبتنا العربية



وهى إشارات قليلة جداً ، من ذلك ما ذكره زينوفان ، الذى زها حول ٥٣٠ ق.م فى جنوب إيطاليا ، وكان فيما يقال رأس المدرسة الإيلية ، وحكى عن فيثاغورس أنه سمع ذات يوم نباح كلب ورأى صاحبه يهم بضربه فتوسل إليه ألا يفعل ذلك لأنه عرف فى نباح الكلب صوت صديق له توفى من زمن . وتدل هذه القصة على أن فيثاغورس كان يعتقد فى التناسخ .

وحكى هرقليطس الذى زها حول ٥٠٤ ق . م فى كتابه الذى بقيت منه بعض أجزاء أن « فيثاغورس ابن فيسارخوس اشتغل بالبحث العلمى أكثر من أى شخص آخر ، واختار من بين هذه الكتابات نخبة ، فنسب إلى حكمته الخاصة ما هو إلا المعرفة بكثير من الأشياء » . والذى يقصده هرقليطس من البحث العلمى هو الاطلاع على آراء الآخرين ، وبذلك لا يعد فيثاغورس مبتكراً للفلسفة .

ويروى عنه هيرودوت « أنه من أعظم حكماء اليونان » ويضيف إلى ذلك أنه سمع من يونان هلسبونت أن « سالومكس » Salmox كان عبدا لفيثاغورس فى ساموس ، وأكبر الظن أن هيرودوت لم يصدق هذه الرواية لأنه كان يعرف أن سالومكس عاش قبل فيثاغورس بزمن طويل . مهما يكن من شىء فالرواية تدل على شهرة فيثاغورس فى القرن الخامس .

وكان أفلاطون شديد الإعجاب بالفيثاغوريين ، ولم يصرح باسم فيثاغورس إلا مرة واحدة ، وذلك فى كتاب الجمهورية حيث يروى أنه نال محبة أتباعه وظفر بقلوبهم إذ كان يعلمهم طريقا يسلكونه فى الحياة ، وكانت تلك الطريقة لا تزال معروفة فى ذلك الوقت باسم الفيثاغورية . ولا يصرح أفلاطون باسم الفيثاغوريين إلا مرة واحدة أيضا ، حين جاء على لسان سقراط فى الجمهورية أنهم يعدون الموسيقى والفلك علمين شقيقين . غير أن أفلاطون قد حكى كثيرا من آرائهم ، ولو أنه لم يصرح باسمهم ، وقد اتضح لنا عن المصادر الأخرى أنهم الفيثاغوريون .

القسم الثانى من المصادر ، أرسطو والمشاءون .

أما أرسطو فقد ذهب مذهب أستاذه ولم يصرح باسم فيثاغورس فى كتبه الكثيرة إلا مرتين ، إحداهما ما جاء فى كتاب ما بعد الطبيعة أن القمايون كان شابا صغيراً عندما كانت الفيثاغورية فى شيخوختها .

مكتبتنا العربية



والرواية الثانية وردت فى كتاب الخطابة حيث نقل أرسطو على لسان ألقيداماس « أن أهل إيطاليا كانوا يمجدون فيثاغورس » . ومما يلفت النظر وصف أرسطو للفيثاغورية ، فهو يقول عنهم « أهل إيطاليا الذين يسمون بالفيثاغوريين » وهذه العبارة تحمل الشك فى ثناياها عن حقيقة تلك الجماعة .

وقد كتب أرسطو كتابا عن الفيثاغوريين لم يصل مع الأسف إلينا ، ولكن بعض المتأخرين اقتبسوا منه أقوالا فيما يختص بمذهبهم الدينى .

ثم نجد بعد ذلك اثنين من المشائين كتبا عن الفيثاغوريين ، الأول ارستكسينوس الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وكان فيلسوفا وموسيقياً من أتباع أرسطو ، وقد اتصل بالجيل الأخير من الجماعة الفيثاغورية ، وأبرز لنا فيثاغورس من رجال العلم ، وأبى أن يصوره رجل دين . أما ثانى المصدرين فهو ديقارخوس من أهل مسينا فى صقلية عاش فى القرن الرابع ، وكان من تلامذة أرسطو ، وثافراسطس اشتغل بالفلسفة والجغرافيا والتاريخ . وكتب كتابا عن تاريخ اليونان ، وقد أظهر لنا فيثاغورس فى كتاباته رجل سياسة وإصلاح .

وهناك مصدر ثالث ولو أنه ليس من المشائين ، ونعنى به تيماوس الصقلى [ ٣٥٢ - ٢٥٦ ] وقد كتب تاريخاً عن صقلية ساق فيه الحوادث حتى زمانه . وعن هذا المصدر استقى يامبليخوس معلوماته عن فيثاغورس .

وننتقل الآن إلى الحديث عن القسم الثالث من المصادر ، وهم المتأخرون الذين كانوا بعيدين كل البعد عن فيثاغورس وشيعته . وهم ثلاثة : فرفريوس الصورى ، ويامبليخوس ، وديوجين لايرس . وقد امتلأت رواياتهم جميعاً بالأساطير ، ولا يمكن أن تحمل إلا على محمل الريبة . وقد نسبوا إلى فيثاغورس كثيراً من الخوارق .

عاش فرفريوس الصورى فى القرن الثانث بعد الميلاد ، وكان تلميذاً لأفلوطين ، وشرح أرسطو ، وعرفه العرب بوجه خاص من كتابه أيساغوجى . أى المدخل إلى مقولات أرسطو . وله كتاب عن تاريخ الفلاسفة ضاع ولم يبق منه إلا الجزء الخاص بحياة فيثاغورس . وهو الذى حدثنا عنه ابن النديم فى الفهرست .

أما يامبليخوس الذى عاش فى القرن الرابع بعد الميلاد ، فكان من فلاسفة

مكتبتنا العربية



الأفلاطونية الحديثة ، وله كتاب عن حياة فيثاغورس وأتباعه المتقدمين والمتأخرين .

أما ديوجين لايرس فهو صاحب تاريخ الفلاسفة . وهو مرجع هام ومصدر من مصادر الفلسفة اليونانية عامة .

هؤلاء جميعاً ساقوا كثيراً من القصص الخرافية حول حياة فيثاغورس . من ذلك أنه عض ثعباناً ساماً فقتله . وأنه شوهد فى مدينتى كروتون وميتابونتيوم فى آن واحد . وأنه كشف فى أوليمب عن ساقه الذهبية . وأنه كان يعبر نهر كاراس فسمع صوت إلهياً يأمره بالتوقف ، وحكوا أنه كان يسحر الحيوانات .

* * *

ونحسب بعد ذلك أننا فى غير حاجة إلى القول بأن حياة فيثاغورس يكتنفها كثير من الغموض ، وتلفها الخرافات بغلاف ثقيل . حتى إن بعض المؤرخين مثل فريمان فى كتابه « الفلاسفة قبل سقراط » . لم يتحدث عن فيثاغورس ، بل عن فرقة الفيثاغورية .

وتنقسم حياة فيثاغورس قسمين : الأول فى ساموس . والثانى فى كروتون ، ويضاف إلى ذلك رحلاته التى قام بها .

أمضى فيثاغورس شبابه فى جزيرة ساموس إحدى جزر بحر أيونية بالغرب من ملطية مهد الفلاسفة الطبيعيين . وزها فيثاغورس فى حياة الطاغية بوليقراطيس حاكم ساموس عام ٥٣٢ ق . م . ويقول ارستكسينوس إن السبب الذى من أجله هجر فيثاغورس ساموس هو مقته حكم بوليقراطيس ، فذهب إلى كروتون فى جنوب إيطاليا . وهى مدينة كانت لها بساموس علاقات حسنة ، واشتهرت بالرياضة البدنية والطب . ويحدثنا تيماوس أنه وفد إلى كروتون عام ٥٢٩ ق . م ، وبقى فيها عشرين عاما . وقد تأسست كروتون عام ٧١٠ ق . م . وهى ميناء تجارى وصناعى ، وزادت ثروتها من التجارة فعاش أهلها رغدا ، واشتهر سكانها بالرياضة البدنية والطب . وأكبر الظن أن اعتدال جوها هو الذى اجتذب إليها فيثاغورس .

مكتبتنا العربية



ولا نستطيع أن نقبل ما ذكره المؤرخون المتأخرون عن رحلات فيثاغورس على أنه حقيقة لا يرتقى إليها الشك . يقال إنه زار مصر ، وأن قمبيز أسره حين غزاها . ونحن لا نستبعد هذه القصة وبخاصة إذا عرفنا ما كان بين بوليقراطيس وأحمس [ أمازيس ] من علاقات وثيقة . ولاحظ هيرودوت ما بين شعائر النحلة الأورفيه المستقاة عن المصريين ، وبين الفيثاغوريين من مشابهة . ويروى هيرودوت كذلك أن عقيدة التناسخ الموجودة عند الفيثاغوريين جاءت عن اتصال فيثاغورس بمصر ، وهذا خطأ لأن قدماء المصريين لم يعتنقوا مذهب التناسخ .

ويقال كذلك إنه زار بابل حيث نقل عن الشرق المذاهب الصوفية .

ولما استقر المقام بفيثاغورس فى كروتون اشتغل بالسياسة واشتهر أمره ، ولجأ بعض أشراف سيبارس Sybaris إلى كروتون طالبين الحماية ، فأشار فيثاغورس على أهل كروتون بحمايتهم وإعلان الحرب على سيبارس ، فلما انتصرت كروتون تولى فيثاغورس وحزبه الحكم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وبعد بضع سنوات قامت حركة تعارض هذا الحكم الاستبدادى بقيادة سيلون وهو شريف غنى . كان فيثاغورس قد أساء إليه ، وقبل أن يشتد لهيب الحركة هاجر فيثاغورس إلى ميتابونتيوم بالقرب من كروتون ، حيث توفى . وبعد موته كرس أهل ميتابونتيوم داره معبداً للإله ديمتر .

أما أتباعه الذين بقوا فى كروتون فقد كانوا ضحية مؤامرة حبك أطرافها سيلون وحزبه إذ فاجئوهم وهم مجتمعون فى منزل ميلو Milo الرياضى وحرقوهم أحياء ، فماتوا جميعا ماعدا أرخيبوس وليسيس النارنتى الذى عاد إلى موطنه فى تارنتا . أما أتباعه الذين كانوا غائبين عن كروتون فقد اجتمعوا فى مدينة ريجيوم ، حيث تابعوا السير على النظام الذى وضعه فيثاغورس . غير أنهم لم يستعيدوا نفوذهم السابق

وسوف نتحدث عن مدرسة فيثاغورس فيما بعد .

مكتبتنا العربية



# خـــــواطر

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم على أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

---

الكاتب يهمه — دائما أبدا — أن يكون موضوعه الذى يَعرُضه على القارئ فيه من الطرافة والجدَّة ، والظرف فى التصوير ، واللباقة فى الأداء ، ما يُغرى بقراءته ، ويحمل على الاسترسال فيه ، والانسياق معه : لأن حسن المقال ، وجمال الهدف ، وَرَوْعة التفكير ، بذلك الأثر الذى يتبقى فى الذهن ، ويتركز فى المخيلة ، بعد كدح الخاطر ، وإتعاب النظر ، وقطع الوقت ، وطى المسافة ، فى التحصيل والبحث ، والتنقيب والاضطلاع . . سواء أكان ذلك الأثر من ناحية اللفظ والأسلوب ، أم من ناحية الغرض والمعنى ؛ ولسنا هنا بصدد التفاضل بين الصورة الخارجية ، والسريرة الداخلية ، وتحقيق الخلاف فيما يجب أن يكون مناط الرفعة ، ومحل التفاوت ؛ فذلك أمر يرجع إلى البلاغة أكثر منه رجوعاً إلى فن القول الذى هو أشمل وأعم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ويهمنى أولاً أن يكون هنالك فائدة يعود بها الناظر ، ويُضيفها إلى مايعلمه الباحث ، وإلا كان أشبه بمن يرضى من الغنيمة بالإياب .

وقد تعود العلماء فى الأمم الناهضة أن يُسجلوا للأجيال تجاربهم فى الحياة ، وكيف استفادوا منها ، وانتفعوا بها ، ولهذه « المذكرات » صدًى بعيد ، وصيتٌ ذائع ، وجلال واحترام ، لأنها نتيجة دراسة وتأمل . وبحث وفلسفة ، يتلقفها المتلقفون بالرضا والارتياح ، وتتملك منهم مواضع الغرابة والإعجاب .

ولكم وَدَّ كثير منا — الآن — لو يعرفون ما الذى كان يهيج أسلافنا من قادة الفكر . وسادة الرأى ، من خاصة علمائهم ، وخيار المصلحين منهم ، لأن هذه هى أبرز نواحيهم العقلية . وأوضح ميولهم العلمية .

والذى يبلغه قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « يعجبنى الرجل إذا سيم خُطة خسفٍ أن يقول لا . بملء فيه » يتمنى لو أنه أفاض فى هذا الإعجاب . وأكثر

مكتبتنا العربية



من ذكر تلك الألوان النفسية الرائعة ، التى يستشف منها المستشف حكمه على الأشياء ، وتقديره للأمور .

وإذا كان لكل عبقرى ضابط خاص لما يستولى على مشاعره ، أو يثير أحاسيسه ، ويجعله من إكباره لما يسبح فى جو يفوح بالعطر ، ويضوع بالمسك ، ثم لا يجد ما يسعفه عند التعبير عنها أكثر من قوله « يعجبنى » ، فإن الأجدر بالأديب الأريب ألا يرمى بهذه الكلمة دون تبصر ونظر ، وإمعان وتدبر .

ولمناسبة الجملة التى وردت — على سبيل الاستطراد — من كلام عمر لا أخفى حبى له ، وشغفى به ، وولوعى بما يتصل بتاريخه من ذكريات ، لأنه صحائف من المجد الخالد فى حياة الإسلام والمسلمين .

وكلما مر بخاطرى طيفه أخذت أفكر بينى وبين نفسى قائلا : كيف كانت الخسارة لو لم يكن هذا الرجل من الصحابة الذين أحدثوا هذا النشاط ، وخلفوا فى الدين تلك الثروة ، ورسموا للمسلمين هذه المبادىء فى الاجتهاد والقضاء ، والحكومة العادلة الرشيدة .؟ وآمنت بقول النبى صلى الله عليه وسلم فيه « لو كان فى هذه الأمة محدثون لكان عمر » .

وإذا عرض بذهنى مراجعته للرسول ومناقشته وجدله ، إن لم يطمئن إلى الحكم ، ولم يسترح لكونه تشريعاً تترتب عليه مصلحة عاجلة أو آجلة . . . أقول هكذا الإسلام . أما الجمود الغاشم ، والانقياد الأعمى ، وأخذ الأمور قضايا مسلمة خالية من النظر ، عارية عن الفهم ، مجردة من التذوق ، فإنها أبعد ما تكون عن الدين . وكأنما كان سبحانه وتعالى يعد عمر وأمثاله ليكونوا زعماء يترك الناس زمامهم بأيديهم ، ويلقون على كاهلهم مسئولية سياستهم ، والنهوض بأعباء السلطان فيهم .

وحين يسترسل بى الحديث فى عمر يعجبنى من قواده خالد بن الوليد ، إذ عزله عن قيادة الجيش ، فلم يؤثر ذلك فى نفسه ، ولم يثر فيه نزوات الشيطان ، ويحمله على أن يتخلى عن الجماعة ، ويتقاعس عن صفوف المحاربين ، ولكنه دخل فى الميدان وقاتل كالجندى المجهول ، لا يهمه إلا أن ينتصر الحق ، وتسود كلمة الله ، وتعلو راية المؤمنين . وذلك لأن الرياسة لم تكن عنده ولا عند غيره مظهراً من

مكتبتنا العربية



مظاهر الكبرياء ، ولا لونا من ألوان السيادة . ولا معنى من معانى العظمة ، ولا أسلوبا من أساليب التحكم والاستبداد . بل كانت تبعة ثقيلة ، وعبئاً فادحاً ، وامتحانا من الله يتبين به العدل بين العالمين .

وأتخيله رضى الله عنه وقد حضرته الوفاة ، فجاء إليه بعض قومه وعشيرته ليقولوا له : اجعل ولاية العهد لابنك عبد الله . حتى لا تعاود الناس بعدك فتنة اختيار الخليفة ، وهم لا يزالون يتحفزون إلى الفرقة ، ويتأهبون للنزاع ، ويتوثبون للخلاف . وكانت مكانة عبد الله من الورع والتقوى ، والعلم والفقه ، والصلاح والزهد ، والعدل والاستقامة . لا يتطاول إليه بعد أبيه أحد . لأنه كان ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبوبا لديه . شديد التتبع لآثاره ، والسير على نهجه . . فلم يقبل أن يقيمه بعده خليفة ، وقال : حسب آل الخطاب أن يحاسب الله واحداً منهم عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .

وأظل - هكذا - تمضى بى الخواطر والتأملات ، وتطوف بى الأوهام والأحلام ، كما تحلق بالشاعر خيالاته العلوية . فلا يسعنى إلا أن أقول : أين نحن من أولئك الذين نتحدث عن ذكرياتهم ، ونقلب صحائفهم . ونردد فضائلهم ، والدين - عندنا - لم يتجاوز أن يكون نصوصاً وأحكاما نستظهرها ونحفظها ، ثم لا نزيد عن ذلك كله شيئاً !!

---

## البلاغة فى الاجابة

دخل معن بن زائدة على أبى جعفر المنصور فقال له : كبرت يا معن . قال فى طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال وإنك لتجلد . قال على أعدائك يا أمير المؤمنين . وإن فيك لبقية . قال هى لك يا أمير المؤمنين .

وقال هرون الرشيد لعبد الملك بن صالح ، هذا منزلك . قال هو لأمير المؤمنين ولى به . قال كيف ماؤه ؟ قال أطيبت ماء ، فكيف هواؤه ؟ قال أفصح هواء .

وقال المأمون لطاهر بن الحسين . صف لى ابنك عبد الله . قال يا أمير المؤمنين إن مدحتك عبته . وإن ذممته أغبته . ولكنه . قدح ( بكسر فسكون أى سهل ) فى كف مثقف ليوم نضال فى خدمة أمير المؤمنين .

مكتبتنا العربية



# أمن المجتمع واستقراره

## فى نظر الاسلام (*)

لحضرة الدكتور محمود فياض

مدرس التاريخ الاسلامى بكلية أصول الدين

٤ — المالك الحقيقى : يحرص الإسلام فى كل مناسبة ، سيما عندما يتحدث عن الشئون المالية للمسلمين ، على تذكيرهم بأن الله هو الخالق ، وهو المالك لكل ما خلق ؛ فكل مال فى يد فرد ، فهو فى الحقيقة مال الله ، وتملك الفرد له تملك نسبى يقوم على النيابة أو الاستخلاف ، فقد أناب الله الناس واستخلفهم على ماله لتنميته والإشراف على إنفاقه فى الوجوه التى أمر الله المؤمنين بالإنفاق فيها « وأنفقوا من مال الله الذى آتاكم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ؛ فمن بخل بمال الله وحبسه عن العمل فيما شرع الله ، فقد خان أمانته ، وظلم نفسه والناس ، وخرج من عهدته ، ومن حق المالك أن يعزله أو يسلبه ما فى يديه ، وتارة يسمى القرآن ما ينفقه الإنسان من مال الله قرضاً حسناً لله « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً » . وتارة يسميه حقاً للفقير فى مال الغنى : « وفى أموالهم حق معلوم » . فالفقير عند ما يأخذ شيئاً يأخذه من مال الله ، ثم هو يأخذ حقاً له فرضه الله الذى منح المال لمن يشاء من عباده ، وهو حق يكاد يكون من حقوق العاجزين الفطرية . يأخذ الفقير غير ذليل النفس ، ولا مهدر الكرامة ، ولا يمكن أن يكون ما جعله الله حقاً فى مال الله ـ أوساخ الناس ، والله يسميه حقاً هو ما نحه ! ! وليس معنى أن الزكاة أو الصدقة تطهر النفس وتزكيها أنها « أوساخ الناس » ، وإنما القصد من ذلك أنه سبيل إلى رياضة النفس الشحيحة على الإيثار ، وتخليصها من طغيان الأثرة ، وتمرينها على السمو والتعلق بالكمال باستمرار عملية التخلص من ضغط المادة .

(*) نشر المقال بمجلة [illegible] وهو سنة ١٩٧٠

مكتبتنا العربية



هى طهرة لنفس الغنى من الشح ، ولنفس الفقير من الحقد والبغضاء . فكيف صح ما رواه بعض الفقراء من أنها « أوساخ الناس » ؟ ومن أين كان يأخذ أهل البيت النبوى الكريم أعطياتهم على الأقل فى عهد أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » ؟ أليس من مال « بيت المال » ؟ ولقد كانت الزكاة والصدقة من أهم موارده !! ألم يسم الصحابة « خزانة المال » بيت مال المسلمين ؟ والمسلمون يعنى الأمة النائبة من الله فى ملكه . فالمال مال الله ، لا مال الناس !! والقرآن الكريم عند ما تحدث عن مصارف الزكاة « إنما الصدقات للفقراء » . جعل الفقراء أهل حق فى مال الله ، فكل فقير محتاج له فى هذا المال حق وهبه الله له ، لا فضل لأحد من الناس عليه فيه . فليتقدم إلى أخذه عزيزاً كريماً ، ولم يستثن القرآن أهل البيت من « الفقراء » بل ذكر الفقراء عامة ، ومن الظلم للقرآن أن يقال : إنه يقر الارستقراطية النسبية والطبقية ويمايز بالاحساب ، والشيعة - فيما أعلم - يأخذون بذلك . ولا يرون فى مال الله هذا أنه « أوساخ الناس » ، كما يزعم ذلك على الرسول بعض الفقهاء ، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحرم على أهله ما أحله الله لهم !! وإن ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم منعهم مال الصدقة . فحتى لا يقول مفتون : لقد حابى محمد « أهله وأطعمهم أموال المسلمين » ؟ ألم يقل له بعضهم - والرسول يفاضل فى العطاء للناس من غير أهله - اعدل يا محمد ! فيرد عليه الرسول : ويحك من يعدل إذا لم أعدل ؟ فكيف لو كان قد أعطى ذلك لأهله ؟!

٥ — النظر إلى المستقبل : ينظر الإسلام فى تشريعه إلى المستقبل لا إلى الحاضر فحسب . فكل مالا يملكه فرد ، فهو ملك الجماعة : الدولة . أى أنه على أصله ، تصرفه الدولة حسبما يجد من حالاتها ، وما يحصل عليه المؤمنون من أملاك أعدائهم بلا حرب فهو لله وصالح الدولة ، وكذلك الأراضى التى يحصل عليها المسلمون بالفتح ، فهى ملك عام المسلمين : للدولة . ويذكر لنا القاضى « أبو يوسف » (١) أن « عمر بن الخطاب » لما طلب إليه بعض زعماء المسلمين أن يقسم أرض العراق بعد فتحها بين المجاهدين ، اهتم هماً شديداً . وكان يقوم فى هذا الأمر ويقعد ، حتى اهتدى

(١) كتاب الخراج - سواد العراق .

مكتبتنا العربية



إلى حل جميل فى قوله تعالى فى سورة الحشر [١] : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » إلى أن قال : « والذين جاءوا من بعدهم » . واستناداً إلى هذه الآيات منع عمر - ووافقه الصحابة - قسمة أرض العراق ، حتى يكون المال والتملك فى متناول المسلمين جميعاً فى حاضرهم ومستقبلهم ، وحتى لا يحبس المال فى أيد قليلة فيتداول بين الأغنياء فى أضيق دائرة ، فتتركز الثروات فى يد أفراد من الناس ، وتحرم الكثرة الساحقة ، وقد حبسها لصالح المسلمين ولذوى الحاجات والفقراء من المهاجرين والأنصار . ولمن يأتى بعد هؤلاء من المحتاجين فى العصور التالية قال عمر : كيف أقسمها فتملكونها فلا يجد المسلمون الذين يأتون بعدكم ، ما يملكونه أو ينتفعون به ؟ فانظر رعاك الله إلى أى حد يهتم الإسلام بمصالح الفقراء إهتماماً يتعدى حاضرهم إلى مستقبلهم المكنون !! ولعلك تلاحظ بعد ذلك أن الخليفة أبقى الأرض ملكا للدولة ، وأعطاها للزرع يفلحونها ، فينتفعون فى نظير جعل خاص لبيت مال المسلمين . ولعلك تلحظ أيضاً أن الإسلام الذى أقر تملك الأفراد ، يقر أيضاً تملك الدولة لبعض المرافق ، ضماناً لحاجاتها ، وليس معنى هذا إطلاقاً أنه يفتح باب التأميم على مصاريعه لتلاشى الملكية الفردية ، فقد عرفت رأيه فيها : وفى هذا يقول سيدنا عمر : والله ما من أحد إلا وله فى هذا المال حق ، يعنى مال بيت المال .

٦ — وسائل التوازن فى المجتمع : أطلق الإسلام للفرد حرية التملك ، ولم يشأ أن يقيد ملكيته تمشيا مع الفطرة كما أسلفنا ، ولكنه من ناحية أخرى عمل على تجزئة الملكيات حتى لا تتضخم تضخما يؤدى إلى الاحتكار وتركيز الثروة فى أيدى أفراد قلائل . قد تكون إساءة التصرف هى طابعهم ، وقد يكون جلهم من ذوى الضمائر العفنة التى لا يزعها قرآن ولا سلطان ، فيختل نظام المجتمع ، وتفسد أحواله ، ويموج بالحقد والثورات ، ولهذا وضع نظاما لتمليك الضعفاء الذين لا قدرة لهم على العمل والكسب واختلك ، وهو نظام دائم مستمر ، يخرج كل عام فئة جديدة من صغار الملاك ، وقد لا يمضى عليهم عام حتى يساهموا فى عملية التمليك بالقدر

مكتبتنا العربية



الذى يستطيعونه ، وهو نظام تعاونى مثالى ، يوجهه الدين والخلق ، وأما طرق تمليك الفقراء ، وتجزئة الملكيات فإنى أحدثكم عنها بإيجاز :

( ١ ) الزكاة : وهى نسبة مئوية بسيطة (٢/٥ ٪) تؤخذ من المالك على قدر معين من ماله النقدى أو المقوم بالنقد ، وقد تؤخذ عينا ـ تقريبا وفق هذه النسبة ـ مما يملكه الفرد من حيوان ، أو زروع أو تجارة ، بشروط خاصة . وهى نسبة لا تضر الغنى ، ولكنها تسعف الفقير بالعلاج ، وقد جعل الإسلام ذلك فرضا لازما للمسلم ، وعده ركنا من أركان العقيدة لا تصح إلا به ، ولا يسمى مسلما من يجحدها أو يمنعها ، أو يحتال على التخلص منها ، وعلى جماعة المؤمنين أن تأخذها بالقوة ممن يمنعها ، وعليها أن تحارب من يجحدها أو يعلن عدم الالتزام بها ، محافظة على أركان الإسلام وكيانه ، وشخصيته المعنوية التى لا تستقيم إلا بهذا الفرض ، فإذا تهاونت الجماعة فى ذلك فقد تهاونت فى شخصيتها ، وإذا قصر المؤمنون . فقد عصوا ربهم ، وخرجوا عن دينه ، وليأذنوا — عندئذ — بحرب من الله ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » والظالمون والفاسقون .

( ٢ ) الانفاق : أمر الإسلام المسلم بالانفاق فى سبيل الله وحاجات الدولة وسمى ذلك صدقة مرة ـ كما أسلفت ـ ومرة سماه قرضا حسنا : خذ من أموالهم صدقة . . . من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا . . . وقد كثرت أوامر الانفاق فى القرآن الكريم ، كثرة تلفت النظر . بل نأخذ بعنق ذوى اليسار ، فقد لا تجد سورة من سوره خالية من أمر ، أو أمرين ، أو أكثر ، وهى أوامر صريحة مغايرة مغايرة تامة لأوامر الزكاة ، وتلمس ذلك بوضوح فى آية البر ، ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة . . . فأنت تجد الانفاق « وآتى المال على حبه » يتقدم فى الذكر بعد الإيمان . على الزكاة . أتدرى لماذا ؟ لأن المشرع لم يحدد فى الانفاق نسبة كالتى حددها وألزم المؤمن بها فى الزكاة . بل فرض على المؤمن أن ينفق فى سبيل الله ، وصالح المسلمين ، وترك

مكتبتنا العربية



له تقدير ما ينفقه حسب ما تمليه عليه درجة إيمانه وأمانته . امتحانا لإيمان المؤمن وأمانته ، وقد جاء الوعد بالنعيم المقيم للمحسنين ، الذين يؤثرون على أنفسهم ، ويتقون شح أنفسهم « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » كما جاء الوعيد بالعذاب الأليم ، للذين يكتنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها فى سبيل الله ، وجدية الأمر بالانفاق . وعظم الوعيد للبخلاء والمحتكرين الذين يضنون بمال على عباده ، ويمنعون الفقراء حقوقهم ، هذا . هو بعينه الذى دفع الصحابى الجليل « أبا ذر الغفارى رضى الله عنه » إلى القول : بوجوب تخلص المؤمن من كل ماله ، وانفاقه فى سبيل الله ، مكتفيا بما يقيم أوده ، أو بضروريات الحياة ، وهى الدعوة التى أزعجت أمير الشام معاوية ، والخليفة الثالث عثمان بن عفان .

ومن الملاحظ أن الخلافة وأميرها فى الشام ، وصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينكروا على أبى ذر أصل المبدأ وهو وجوب الانفاق على الأغنياء ، زيادة على ما يلزمهم من الزكاة ، وإنما أنكروا عليه أن يحدد قدراً ، بعضا . أو كلا ! أما المبدأ فسليم ومتفق عليه ؛ ويتضح هذا من قول الخليفة لأبى ذر : أنا لا أحمل الناس على الورع ولكن دع المؤمن كما تركه الله ، بلا تحديد ولا تقييد . يحدد بنفسه لنفسه ما يمليه عليه إيمانه وأمانته ، وحبه للخير ، فإذا كانت نفوس الأغنياء قد فسدت ، وثقل عليها أمر الله ، وتحللت من تشريع الله ، فلم تخرج . أو جحدت الزكاة ، فمن واجب الدولة وجماعة المؤمنين أن يقهروهم على أدائها ، حرصا على سلامتهم وسلامة الجميع ، وإذا كانت قلوب ذوى اليسار قد تحجرت . فلم تسمع أنين المحرومين ، ولم تر الانفاق فى سبيل حاجات المجتمع واجبا ، فإن الفقهاء قد أعطوا الحاكم سلطة فرض الضرائب التى يراها لمصلحة الجماعة ، وقد طبق عمر عام المجاعة نظاما يشبه ، نظام الضرائب التصاعدية » فقد ألزم كل غنى بإطعام عدد خاص ، من الفقراء . حسب ما رآى من قدرته ويساره ، وهذا مبدأ للترقى بالضريبة حسب اليسار ، حتى تستغرق معظم الدخل ، وإذا كنا اليوم نرى موازين المجتمعات الإسلامية قد اختلت ، وفسدت أحوالها إلى حد بعيد . فإنما جاء ذلك نتيجة لهجر النظام الإسلامى العام . من الحكام والمحكومين ، « ومن يتبع غير سبيل المؤمنين

مكتبتنا العربية



نوله ما تولى ، وتصله جهنم وساءت مصيرا » . وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

تجزئة الملكيات : قلت إن الإسلام يشجع الملكيات الصغيرة ، ويعمل على تكثيرها بما وضعه من نظام لتمليك الفقراء ، وتمشيا مع هذا المبدأ جاء نظره إلى التوريث ، فلم يجعل مال الرجل الميت ، وقفا على الذكور فحسب ، ولا على الذكر البكر فحسب . كما فى غيره من الشرائع ، ولكنه عمد إلى تجزئة التركة ، وتقسيمها إلى سهام أشرك فيها الأصول والفروع ، وهو نظام فذ لتجزئة الملكيات عن رضا واختيار ، وقد ورث كلا الزوجين من صاحبه ، وقد يكون الزوج أو الزوجة من أسرة أجنبية عن عائلة المورث وفى مكان سحيق عن مكانها ، وبذلك تنقل الملكية من أسرة إلى أسرة بلا اعتراض أو تردد ، وفى هذا حد من شرور تضخم الملكيات ، الذى يؤدى غالبا إلى انحطاط مستوى المعيشة بين أغلبية السكان ، ويساعد على ارتفاع الأسعار ، وقيام نظم الاحتكار ، هذا فإذا لم يكن للميت وارث ورثته الدولة ، وهكذا ترث الجماعة الإسلامية الفرد ، وتساهم بما ترثه عنه فى عمليات التمليك التى تقوم بها بواسطة الموارد السابقة ، كذلك أباح الإسلام الوصية بثلث المال لغير الورثة ، كما شرع الوقف على مصالح المسلمين العامة ، وفى هذا مجال كبير لاخلاص المؤمن الذى يرجو الله والدار الآخرة .

بهذا الذى قدمته لك ياسيدى . يضمن الإسلام أمن المجتمع واستقراره ، فهو يقر الملكية الفردية ، ليرضى فطرة الإنسان ويدفعه إلى النشاط والعمل ، ثم يضع موازين لحفظ التوازن ، الأمن بما شرعه وسيلة للتمليك وتوزيع الملكيات ، أو تجزئة الملكيات ، ليعيش الغنى والفقير جنباً إلى جنب أحبة متوادين ، لا متربصين حانقين أو حاقدين . وليس هنالك حل لمشكلة الفقر والغنى إلا بتطبيق هذا النظام بدقة وجدية ، ولا سبيل إلى أمن المجتمع واستقراره ، إلا بمسالمة الفقير وقناعته ، ولن يسالم حتى يعطى حقه تحت لواء الإسلام ، لهذا فليسلم المسلمون من جديد « فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا » « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل . فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »

مكتبتنا العربية



# البابية والبهائية

للأستاذ عمر طلعت زهران
استاذ فى الآداب

— ٢ —

ليس المهدى المنتظر إنسانا « ما » تأتى به المصادفة ، وإنما هو شخص مقدر ظهوره ، يجب أن تتوافر فيه شروط خاصة وصفات معينة وعلامات مميزة ، وبهذه كلها يمكننا أن نعرفه ، وأن نتبينه ، أما أهم هذه الصفات فهى كونه ( ١ ) معلما للإنسانية ، ( ٢ ) وتعاليمه عامة ، ( ٣ ) وعلمه فطرى إشراقى غير مكتسب ، ( ٤ ) لا يقف أمام مشكلة ولا يستعصى عليه الرد على سؤال ، (٥) كما أنه سيواجه صعابا شتى وآلاما جمة يتحملها فى صبر وسكون ، ( ٦ ) تساعده قوة شخصيته ونفاذ كلمته وقوة إيمانه ، ( ٧ ) عاملا على توحيد الدين ، حاملا للواء السلام ، ورمزا لأنبل الفضائل البشرية وأسماها

هذه أهم الصفات التى أعلنها الشيخ الإحسائى (١) ، وزاد عليها أن الرسالة الجديدة — رسالة المهدى المنتظر — ستكون مزدوجة . ومات الشيخ وهو فى طريقه الى مكة سنة ١٢٤٢ هـ [ ١٨٢٦ م ] ودفن بالبقيع .

وخلف الشيخ بعد موته السيد كاظم الرشتى ، ولد ببلدة رشت سنة ١٢٠٥ هـ ، ودرس على الشيخ الإحسائى ، فكان أنبغ تلامذته ، فلم يكن غريبا أن يوصى به خليفة له ، وتولى التدريس والمحاضرة مكانه . وكان يتحفظ فى حديثه ، مرددا قول الامام جعفر الصادق : « ما كل مايعلم يقال ، ولا كل ما يقال حان وقته ، ولا كل ماحان وقته حضر أهله . . . وكتب فى أحد كتبه : « الحمد لله الذى طرز ديباج الكينونة بسر البينونة . بطراز النقطة البارزة عنها الهاء بالألف ، بلا أشباع ولا انشقاق » .

وقد أول البهائيون هذا القول تأويلين : الأول المعنى المستخرج منه كلمة « بهاء » وهى — كما يزعمون — بيت القصيد ، والمغزى الوحيد للمؤلف ، والتى صرح بها فى موضع آخر من نفس الكتاب ، مستدلا بكلام الإمام الباقر : « الباء بهاء الله » .

(١) سنرى الى أى حد حاول البابيون تطبيق هذه الصفات على الباب .

مكتبتنا العربية



أما التأويل الثانى فهو أن الحروف اللاتة تشير الى أشخاص ثلاثة مقدسة هم النقطة الأولى ، وجمال الأبهى ثم عبد البهاء . وقد مات الرشتى عام ١٨٤٣ م .

انقسم أتباع الرشتى بعد موته فريقين : فريق استمر فى الدرس والتحصيل ، وفريق جاب البلاد يبحث عن المهدى المنتظر . كان على رأس الفريق الأول سيدة يقال لها أم سلمى ، ولقبها الرشتى بقرة العين ، ثم لقبها الباب فيما بعد — حين شاعت عنها الشائعات — بالطاهرة . أما الفريق الثانى فقد رأسه ملا حسين البشروئى وهو المعروف بباب الباب . انطلق هذا الفريق الثانى نحو الكوفة وقضى بمسجدها أربعين يوما فى الصلاة والعبادة والتضرع الى الله ليرسل المهدى المنتظر ، ثم أخذوا يطوفون بالقرى والمدن حتى انتهوا الى مدينة شيراز .

وفى شيراز لقى البشروئى شابا فى الخامسة والعشرين ، الميرزا محمد على ، أعلن له أنه هو المهدى المنتظر ، ودعاه الى الإيمان به فآمن البشروئى ! ! ودعا الناس الى الإيمان به ! ! وكان ذلك فى ٢٣ مايو سنة ١٨٤٤ م .

أما ميرزا محمد على ، فقد ولد بمدينة شيراز سنة ١٨١٩ ، من عائلة تنتهى فى نسبها الى الحسين ؛ توفى والده وهو صغير فكفله خاله ، وهو تاجر ، فاشتغل المرزا محمد على بالتجارة معه ، وتلقى علوما أولية فى كتاب الشيخ عابد ، واشتغل فوق ذلك بالعبادة والرياضة وتسخير روحانيات الكواكب ، حتى كان يقضى النهار كله تحت أشعة الشمس المحرقة تاليا للاوراد ، منهمكا فى الأذكار . وحين بلغ الخامسة والعشرين زاره البشروئى ، كما سبق ، فأعلن المرزا محمد على أنه هو المهدى المنتظر ، ومنذ ذلك الوقت عرف بأسماء مختلفة منها : سيد الذكر ، باب الله ، النقطة الأولى ، طلعة الأعلى ، ولكنه اشتهر باسم : الباب .

كان البشروئى هو أول من « آمن » بالباب ، ثم تبعه آخرون ، بلغ مجموعهم ثمانية عشر شخصا ، عرفوا — مع الباب — باسم « حروف الحى » وكان ١٧ منهم يقيمون بشيراز ، أما الثامنة عشر ، فهى قرة العين ، وكانت تقيم فى كربلاء .

أراد الباب أن يذيع « رسالته » فوجد أن فى موسم الحج بمكة فرصة كبيرة نظرا لاجتماع عدد عظيم من الخلق للحج ، فتوجه نحوها ، ويقول البابيون إنه دخل مكة ووقف فى الناس خطيبا « أنا القائم الذى كنتم به تنتظرون » . ولكن رواية

مكتبتنا العربية



أخرى تؤكد أن الباب لم يطأ الأرض المقدسة بقدمه ، ولم يدنسها بدعوته الكافرة فإن المركب الذى كان به غرق ، ولكنه نجا ولما يتم رحلته .

ومهما يكن من أمر ، فإن خبره ذاع ، ولم يصدق أهل السنة أمره ، إذ كانوا يرون فى الشيعة قوما لا أثر للحقائق الدينية فى معتقدهم الذى بنى على الوهم والخيال الأمر الذى يجعل قيام المهدى من بينهم مستحيلا .

أما علماء الشيعة فقد رأوا فى ذلك فتنة ، فحضوا عامل شيراز على وأدها فى مهدها ، فأمر بإحضار الباب وهدده ، وأخذ على خاله الموائيق بأن يجعله يعتزل الناس ، وأمر الباب بالصعود إلى المنبر وإنكار دعوته ففعل . ولم يبر الباب بوعده بل أخذ يتصل بالناس سرا . كما انتشر « حروف الحى » يدعون لأمره ، وظل الباب بشيراز كالسجين ، حتى حل بها وباء ، فتركها أهلها خوفا وجزعا ، وخرج الباب منها إلى أصفهان حيث كان يحكمها حاكم أرمنى اسمه « منوجهر خان » أوى الباب وآمن به ، ولكنه لم يلبث حتى مات بعد أربعين يوما ، ففقد الباب بفقده ناصرا وحاميا . ثم نقل الباب من أصفهان إلى تبريز ثم إلى سجن قلعة ماكو حيث قضى به تسعه أشهر ، ثم نقل منه إلى قلعة چهريق واستقدم منها إلى تبريز حيث مثل أمام لجنة من العلماء انتهت إلى تكفيره ، فجلد أمام الناس ثم سجن ثانيا . وأخذت فتوى من العلماء بقتله ، فعلق هو وأحد أتباعه ، وأطلق عليهما الرصاص فلم يصبهما أول مرة ، ولكن ما لبث رصاص فرقة أخرى من الجند حتى مزق جسديهما فى صباح يوم ٩ يولية سنة ١٨٥٠ واختطف البابيون الجثتين ، ودفنت جثة الباب على سفح جبل الكرمل بجوار حيفا ، وإن كانت توجد رواية قوية تؤكد أن الجثتين قد أكلتهما السباع .

وقد أخذ الباب اسمه من الحديث الشريف : « أنا مدينة العلم ، وعلى بابها » . والمراد بكلمة باب فى هذه الدعوة المزعومة كان : أولا أنه الواسطة بين « المنتظر » وبين الخلق ، كما ظن أنه يبشر بظهور محمد بن حسن العسكرى ، أو المهدى ، حسب اصطلاحى السنة والشيعة ، ثم أعلن أن « الرسالة » التى « كلف » الله بها الباب ، فى زعمهم ، كانت أن يعد الطريق ويفتح قلوب الناس لمن سيأتى بعده .

وكتب الباب عدة كتب أهمها « البيان » و « تفسيرات لبعض سور القرآن » وعدد من « الألواح » ، وقد حاول فى كتاباته أن ينهج نهج القرآن الكريم ، ومن كتاباته :

مكتبتنا العربية



« بسم الله الأبهى الأبهى . بالله البهى البهى . الله لا إله إلا هو الأبهى البهى . الله لا إله إلا هو المبتهى المبتهى . . . وإن هؤلاء لا يتبعون ، وإن اتبعونى لآمنوا بموسى قبل عيسى ثم بمحمد بعد عيسى ثم بنقطة البيان يوم القيامة ثم بمن يظهره الله ، ثم إلى ما شاء الله أن يعرفن عباده نفسه على أنه لا إله إلا أنا المهيمن القيوم » .

وفى هذا النص نجد القول بتتابع الرسل ، وعدم انتهاء عصر النبوة ، وسنعرض له فيما بعد .

وحين عرف الباب بدنو نهايته ، أخذ يرتب كتاب البيان ، فكتبه من تسعة عشر فصلا ، ينتظم كل فصل تسعة عشر بابا ، وكتب منه ثمانية فصول كاملة ، وفصلا واحدا من الباب التاسع ، وترك باقى الكتاب ليكتبه « من يظهره الله » ، وقد تناول الباب فى كتابه نظريات اعتقادية ومشكلات أصولية ، سنتكلم عنها فيما بعد .

وقد أطلقت على كتابات الباب اسم التوقيعات ، والتوقيع فى الأصل هو الخطاب الذى يعزى لصاحب الزمان وحجة الوقت ، ثم تطور فصار هو كتابات النواب الأربعة عن الإمام الحى الغائب ، وكانت التوقيعات مقدسة واجبة الطاعة . وانتهت التوقيعات إلى أن صارت كتابات الباب ! !

*******

يردد الشيعة وقت السحر ، فى شهر رمضان دعاء يقولون فيه : « اللهم إنى أسألك من بهائك بأبهاه ، وكل بهائك بهى » ، ومن هذا الدعاء اتخذ « الميرزا حسين على بن الميرزا عباس بزرج النورى » من بلدة مازندران ـ اسمه . وقد ولد فى ١٢ نوفمبر سنة ١٨١٧ [ ١٢٣٣ هـ ] فى طهران ، وكان أبوه يشغل مركزا هاما فى بلاد الشاه ، وتلقى الميرزا حسين العلوم المتداولة فى ذلك العصر ، غير أنه كلف بالتصوف ، فأكثر من مخالطة الصوفية ، حتى أصبح معدودا من كبارهم . وقد التقى بالباب لأول مرة بين مدينتى قم وقزوين ، والباب مساق إلى قلعة جهريق ، فآمن به الميرزا حسين على ، الذى عرف بعد ذلك باسم « البهاء » .

وقبض عليه بعد مقتل الباب ، وزج به فى السجن ، ويقول البهاء إن « الوحى » جاءه فى السجن : أنه هو « من يظهره الله » ، أى أنه هو من بشر به الباب . ثم نفى البهاء إلى بغداد ، وفيها انقسم البابيون الى قسمين : قسم مع البهاء ، وقسم مع « صبح الأزل » وهو أخ غير شقيق للبهاء ، دعا لنفسه كخليفة للباب أيضا .

وإلى المقال التالى لنروى قصة الخلاف ، ونكمل الحديث .

مكتبتنا العربية



# المادية حرب على الأديان

للأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى
المدرس بكلية اللغة العربية

---

المادية أخطر المذاهب الحديثة ، وأشدها حربا لفكرة التدين فى الانسان ، ولفطرة العميدة التى فطر الله البشر عليها ، وقد شنّ دعاتها فى الغرب الحرب على الأديان : وأقاموا حكومات تؤيد مذهبهم الالحادى ، وتحمل الناس عليه بقوة القانون ، وتطارد دعاة الأديان والمؤمنين بها أينما كانوا .

والمادية فى جملتها تذهب إلى أن المادة فى كافة صورها هى المؤثرة فى كل شىء وإلى أنها فى الوجود أسبق ، وأن لها ، لا للمعنويّات ، القدح المعلى فى مصائر الشعوب والانسانية .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وكان للمادية دعاتها فى القديم ؛ وممن آمن بها الفلاسفة « هير قليطس » ، وليوسيس ، وديمقريطس . . وممن دعا إليها فى الحديث : بيكون ، وهوبز ؛ وقد ذهب الأخير إلى أن المادة والحركة هما وحدهما الحقيقتان المطلقتان ، وأن المعرفة الانسانية تأتى عن طريق الاحساس ، وقد أيده فى ذلك تولاند الذى رأى أن المادة هى القوة ، والحركة والحياة والعقل بعض خواصها ، وأن التفكير هو وظيفة العقل . وكذلك نهج بريستلى ، وهارتلى ، وداروين ، وبلا ما ترى ، وسواهم ممن استغنوا عن الروح واطرحوها وفسروا الحياة تفسيرا ميكانيكيا ماديا محضا . وألف « بخنر » كتابه « القوة والمادة » ، الذى ظل حينا دعامة المذهب المادى[1] . وأعظم الماديين هو كارل ماركس اليهودى المادى المتطرف ، وقدورث الروح المادى عن أستاذه انجلز الذى كان يقول : « إن العالم المادى الذى ندركه بحواسنا ، والذى نحن جزء منه ، هو الحقيقة الوحيدة ، وليس الأدراك والتفكير إلا نتاجا

---

(١) راجع ص ٢٦ وما بعدها من كتاب نقد النظرية الماركسية لأحمد جمال الدين طبعة ١٩٤٨

مكتبتنا العربية



لعضو من أعضاء جسمنا ، وهو المخ ؛ فليست المادة من إنتاج العقل ، بل إن العقل نفسه ما هو إلا أسمى إنتاج للمادة . وتفسير ماركس للمادية هو الأساس الأول الذى يبنى عليه الشيوعيون مذهبهم ؛ فنجد لينين وستالين يقرران أن المادة والطبيعة والوجود حقائق موضوعية ، خارج نطاق عقلنا ، ومستقلة عنه ؛ والمادة تأتى فى الصدارة ، ويتلوها العقل . ومن ثم فالحياة المادية للمجتمع والوجود المادى له . لها السيادة على الحياة الروحية التى هى انعكاس للمادة ؛ كما يقرران أن العالم بطبيعته مادى ، وأن الظواهر المتضاعفة للعالم تشتمل على أشكال مختلفة من المادة فى تحرك ، وأن ارتباط الظواهر واعتماد بعضها على بعض هو قانون ارتقاء المادة ، وليس من حاجة إلى الروح الشاملة [١] . وكذلك تؤمن الشيوعية الحديثة بنظرية النشوء والارتقاء التى قال بها داروين ، ومن ثم تصر على إنكار وجود الله وكان إنجلز يرجع كل شىء حتى الدين ، والأخلاق والفكر والثقافة إلى انعكاسات للأحوال الاقتصادية والمصالح الطبقية [٢] ، ويفسر هو وتلاميذه الأحداث التاريخية تفسيرا ماديا ، وهذا التفسير الاقتصادى للتاريخ ينكر الدين . وكان ماركس شيخ الماديين لا يؤمن بالمثل ، ولا يدين بالمحسوسات ، ويؤثر عنه قوله : «لا إله والحياة مادة» ، وقوله : «الدين مخدر الشعوب» ، وقوله : «رسالة الطبقة العاملة هى القضاء على الدين والداعين إليه» . وكان «هوبز» يقول : «إن الأشياء المادية وحدها هى المحسوسة بالنسبة لنا . فأنا لا أستطيع أن أعلم شيئا عن وجود الله ؛ ووجودى الخاص هو وحده الأمر المؤكد ، أما ما عداه فخيال لا أصدقه» . وكان بها إنجلز يقول : «لا محل مطلقا لوجود خالق» [٣] .

كل هذا قطرة من بحر من آراء الماديين فى إنكار الروحيات ، وجحد وجود الله ، ونبذ فكرة الدين ، وحربهم الخطرة على الأديان .

---

(١) راجع ٨٣ المذاهب السياسية المعاصرة ، ١٤٣ الدستور السوفيتى ، ٥٢ الشيوعية فى الميزان .

(٢) راجع ٣٠ و ٣١ الدستور السوفيتى - طبع النهضة ١٩٤٩ .

(٣) ١٧ الاشتراكية العلمية والاشتراكية الخيالية لفردريك إنجلز .

مكتبتنا العربية



ولا شك أن هذا المذهب الإلحادى على ضلال مبين ، وهو لا يحارب بآرائه الإسلام وحده ، وإنما يشرك معه جميع الأديان . والذين يؤمنون بهذا الإلحاد هم فى رأى الإسلام مرتدون ، يقاتلون حتى يفيئوا إلى دين الله وإلى الحق .

إن الدين عنصر من العناصر التى لا تتم الحياة بدونها ؛ وهو رسالة الله إلى الإنسانية ، حملها الأنبياء والمرسلون ، وأدّوها إلى الناس لخيرهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة . . والفلاسفة والمفكرون الذين لهم خطرهم فى الحياة الفكرية فى العالم القديم والحديث كانوا من خير الدعاة إلى فكرة الدين والإيمان بالله ورسله ؛ وكان تولستوى يقول : « إن الدين وحده هو الذى يجعل الحياة ممكنة » ، ويقول : « إننى لا أعيش إذا فقدت العقيدة فى وجود الله ، ولولا أننى كنت أتعلق بأمل غامض فى وجود الله لقتلت نفسى من زمان بعيد . عش باحثا عن الله وإذًا فلن تعيش بدونه ، وعندما اعتقدت فى وجود الله اعتقدت فى الكمال الخلق وفى التقاليد التى تحمل معنى الحياة » .

ويقول شوبنهور : « إن فكرة الإله الذى ليس له نهاية ، وقدسية الروح ، والعلاقة بين الله وعباده ، كلها أفكار صيغت فى الضمير البشرى الخفى الذى ليس له نهاية ؛ وهى تلك الأفكار التى لا يمكن لى ولا للحياة البقاء بغيرها » . ويقول رينان : « من الممكن أن يتلاشى كل شىء نحبه إلا التدين ، فسيبقى أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى » ، ويثبت « كريسى موريسون » الرئيس السابق لأكاديمية العلوم فى نيويورك فى كتابه « الإنسان ليس وحيدا » وجود الله بأدلة علمية لا تقبل الجدل ، وينتهى إلى أن الله فى كل مكان وكل شىء ولكنه أدنى ما يكون إلى قلوبنا ، وأن قول صاحب المزامير : « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه » هو قول صحيح من ناحية العلم والتخيل جميعا [1] وأكد عدد كبير من علماء الذرة والفلك وعلم الحياة والرياضة أن لديهم أدلة كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ، ينظم هذا الوجود ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذى

---

(١) راجع مجلة المختار عدد فبراير ١٩٤٧ - مقالة عنوانها : « سبعة أسباب لايمان عالم بالله » .

مكتبتنا العربية



لا حد له ، ويقول الدكتور « راين » إنه ثبت من أبحاثه فى المعامل أن فى الجسم البشرى روحا أو جسما آخر غير منظور ، وقال عالم آخر إنه لا يشك فى أن الكائن الأعظم وهو ما تسميه الأديان السماوية « الله » هو الذى يسيطر على الطاقة الذرية وغيرها من الظواهر والقوانين الخارقة فى هذا الوجود (١) .

وإذا ثبت وجود الله ثبتت الرسالة وفكرة الدين ، وثبت أن محمداً والرسل قبله صادقون فيما يحدثون به عن الله من عقائد وشرائع وأديان ، وأن علينا واجب الإيمان بها وبخاتمة هذه الرسالات وهى « دين الإسلام » ، وبالكتاب الخالد « القرآن » معجزة هذه الرسالة .

وصدق الله العظيم فى قوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟ » .

## كلمات بليغة مأثورة

مدح خالد بن صفوان رجلا فقال . فريع المنطق جذل الألفاظ . عربى اللسان . قليل الحركات حسن الإشارات ، حلو الشمائل . كثير الطلاوة . صموت قؤول . لم يكن بالبرم فى مروءته ولا بالهذر فى منطقه . متبوع غير تابع ، كأنه علم فى رأسه نار .

ودخل سهل بن هرون على الرشيد . فوجده يضاحك ابنه المأمون . فقال : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له فى البركات حتى يكون كل يوم من أيامه موفيا على أمسه . مقصرا على غده فقال له الرشيد . يا سهل . من روى من الشعر أحسنه وأجوده . ومن الحديث أصحه وأبلغه ، ومن البيان أفصحه وأوضحه . إذا رام أن يقول لم يعجزه . فقال سهل يا أمير المؤمنين ما ظننت أحدا تقدمنى الى هذا المعنى . فقال هرون . بل أعشى همدان حيث يقول :

وجدتك أمس خير بنى لؤى ... وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا ... كذلك تزيد سادة عبد شمس

(١) راجع عدد ٢٣ / ٨ / ١٩٥١ من جريدة المصرى الغراء .

مكتبتنا العربية



# المسلمون والتصوير

للأستاذ أحمد محمد عيسى

ليسانس فى الآداب - دبلوم فى الآثار

— ٤ —

آثار القول بتحريم التصوير :

لا جدال فى أن الفن الإسلامى قد تأثر بأقوال الفقهاء عن حرمة التصوير ، كما حالت تلك الأقوال دون حرية الفنان فى عمل الصور الآدمية والحيوانية . وبدا على ما رسمه منها الجمود والجفاف والبعد عن محاكاة الطبيعة .

غير أن الطاقة الفنية عند الفنان المسلم تحولت إلى موضوعات زخرفية قوامها الرسوم النباتية والهندسية . وبرع المسلمون فى هذين النوعين من الزخرفة وزينوا بهما المساجد والقصور والثياب والستور والأثاث والمخطوطات والمصاحف وكل ما صنعه المسلمون مما يحتاج إلى زخرفة ، وانتشرت تلك الزخارف فى جميع العالم الإسلامى وعرفها الغربيون عنهم ونسبوها إلى مبدعيها العرب وسموها « الأرابسك » .

وكان من نتائج انصراف غالبية الفنانين عن رسم الصور الآدمية والحيوانية بسبب القول بالتحريم ، أن اتسم ما أنتجه المسلمون من هذين النوعين بالضعف أو المسخ لانعدام الخبرة الطويلة والدراسة الصحيحة للموضوع المرسوم .

ولكن الفقهاء الذين وضعوا بأقوالهم من شأن الصور والمصورين ، رفعوا بأقوالهم أيضا من شأن الخط والخطاطين ، ولم يعوزهم دليل على ذلك لأن الخطاطين هم الذين يسطرون كلمات الله وآياته البينات . ولأن الله قد أقسم فى كتابه العزيز بالقلم ، ولأنه قد علم بالقلم ، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح الخط .

وقال عنه إنه مفتاح من مفاتيح الرزق .

مكتبتنا العربية



وهـذه الأقوال المـأثورة عن فضل الخط الحسن وكاتبيه جعلت لأهله شأنا عظيما وقربتهم من الملوك والأمراء ، وتنافس هـؤلاء فى جمع نتف من خطوطهم ، واستخدموهم فى زخرفة القصور والمساجد وغيرها بأنواع الخط الجميل ، كما اهتم الكتاب بالترجمة لهم والكتابة عن فنهم ، وعن الأعـلام منهم أمثال ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمى وغيرهم . وبينما ندرت إمضاءات الفنانين على ما أنتجوه من تحف وآثار ، فإن إمضاءات الخطاطين كانت تذيل جميع ما كتبوا لأنهم أدركوا من مجتمعهم الإسلامى أنهم يقومون بعمل كريم مشرف مرضى عنه من الله والناس ، على عكس إخوانهم المصورين .

مزاولة المسلمين للتصوير :

ولسائل أن يسأل : وهل أدى القول بتحريم التصوير إلى عزوف المسلمين عن ذلك الفن ، واستجابتهم التامة إلى أقوال الفقهاء ؟ ونجيب على ذلك من واقع التـاريخ وقائم الآثار بمـا يدل على أن الاستجابة لأقوال الفقهاء بتحريم التصوير لم تـكن صادقة ولا قوية .

وإنمـا زاولهـا العارفون بها فى غير تحرج ولا خوف ، لأن انتاجهم الفنى نال ما يستحقه من تقدير الناس وعلى رأسهم أولى الأمر ، بل كثيراً ما جند خلفاء المسلمين وأمراؤهم الصناع والفنانين لعمل الصور والتمـاثيل ليزينوا بها قصورهم وحدائقهم وأماكن لهوهم . ونحن إذا عرضنا الآن أمثلة مما أنتجه الفنانون المسلمون من الصور والتماثيل فى مختلف العصور والبلدان ، فإننا لا نقصد أن نتخذ من ذلك الدليل على حل التصوير واباحته ، وإنمـا نسوق تلك الأدلة لنظهر أن إيمـان المسلمين بأقوال الفقهاء عن حرمة التصوير لم يأخـذ مكانه من قلوب المسلمين ، حيث لم يكن لتلك الأقوال ما يؤيدها من نص منقول أو برهان معقول ونورد فيما يلى أمثلة لمـا صنعه الفنانون المسلمون ، أو لمـا صنع لبعض سادتهم وأمرائهم منذ فجر الإسلام .

١ — يبدو من الرسوم التى تزين « قصير عمرة » الذى ينسب إلى الوليد الأول [ ٩٢ - ٩٦ هـ ] ، أن المسلمين السابقين لم يفزعوا من التصاوير ، بدليل أن الفنانين

مكتبتنا العربية



قد زينوا ذلك القصر الصغير - الذى كان بمثابة استراحة صحراوية للخليفة وبعض رجال حاشيته - بكثير من الصور الآدمية ، بل بصور راقصات ونساء عاريات .

٢ — يظهر من رسوم واجهة « قصر المشتى » - الذى يختلف حول نسبته ليزيد الثانى أو الوليد الأموى الثانى - أنها تضم صوراً آدمية وحيوانية ، وهذه الصور إما أن تكون رسمت مخالفة للدين ، وهذا ما نستبعده من خلفاء المسلمين الأول ، وأما أن تكون رسمت حيث لم يكن لديهم نص واضح يمنع من عملها لكراهية أو تحريم . ونعتقد أنه لو كان القول بالتحريم موجوداً لمنع المشرفون على ذلك العمل الفنانين من رسم كل ذى روح لحرمته .

٣ — وضع أبو جعفر المنصور تمثال فارس ذى رمح على صهوة جواد فوق قبة قصره الجديد بعاصمته بغداد ، فهل يا ترى كان أبو جعفر جريئا على الدين أم أن أسطورة « التحريم » لم تكن قد ظهرت للوجود ؟! نعتقد أيضاً أن أبا جعفر لو عرف أو وجد ما يدل على التحريم ، لعطل استخدام ذلك التمثال ، ولمنع من تزيين قبة قصره به ، لا سيما ونحن نعلم أن عصر أبا جعفر كان حافلا بأعلام الفقهاء وفى مقدمتهم أبو حنيفة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٤ — والذى يستعرض كتاب « التصوير عند العرب لتيمور باشا » [ نشره الدكتور زكى محمد حسن بك ] يرى أن المسلمين رسموا الصور وصنعوا التماثيل وزينوا بها البسط والأثاث والأقداح والكؤس والبنود والأعلام ، وزاولوها على الخشب والحجر ، والزجاج والسلاح والعاج والنحاس والخزف والجص ، وسائر المواد الأخرى . ولا يسمح المجال هنا بإعطاء ثبت بكل أو ببعض ما صُنع لخلفاء المسلمين وأمرائهم وعامتهم من الصور والتماثيل التى زوقوا بها كافة ما استخدموه فى حياتهم العملية ، ولكننا نحيل القارىء على كتب التاريخ والآثار وسوف يعلم منها ما صنع لخلفاء الأمويين بقصورهم بصحراء الشام ، وما صنع لخلفاء العباسيين من تحف وطرائف ، وما صنع لخلفاء الفاطميين على أيدى مصورى عصرهم أمثال : القصير ، وابن عزيز ، وبنى العلم ، وغيرهم ، وما صنع لخلفاء الأندلسيين ، أمثال قصر الحمراء ، وما تزينت به قصور أمرائهم من تماثيل الطيور والفيلة والسباع ، نعم سيعلم القارىء من كتب التاريخ والآثار أن المسلمين مارسوا

مكتبتنا العربية



على مر السنين وفى مختلف البلدان ، ما يقول الفقهاء بحرمته ، فهل خرج جميع المسلمين على أصول دينهم ، أم أنهم فهموا من النصوص الموجودة غير ما فهمه الفقهاء فى العصور المتأخرة !؟ يخيل لى أن عامة المسلمين عاشوا بمعزل عن أقوال أو شروح فقهاء المسلمين ، لأن هؤلاء الفقهاء جمدوا عند النص ، فى حين اضطر المسلمون إلى الحركة ، خاضعين فى ذلك لقانون الحياة العام الذى يجرف من لا يسايره .

الشيخ محمد عبده والتصوير :

نسجل هنا رأى علم من أعلام الإسلام فى العصر الحديث ، وإمام مشهود له بالعلم والاستقامة ، وأزهرى مستنير واسع الثقافة هو المرحوم خالد الذكر الإمام الشيخ محمد عبده ؛ قال رأيه هذا بمناسبة زيارته لأحد متاحف صقلية وجاء فيه :

« إذا كنت تدرى السبب فى حفظ سلفك للشعر وضبطه فى دواوينه ، والمبالغة فى تحريره ، خصوصا شعر الجاهلية ، وما عنى الأوائل رحمهم الله بجمعه وترتيبه ، أمكنك أن تعرف السبب فى محافظة القوم على هـذه المصنوعات والرسوم (والتماثيل) فإن الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذى يسمع ولا يرى ، إن هذه الرسوم والتماثيل قد حفظت من أحوال الأشخاص فى الشئون المختلفة ، ومن أحوال الجماعات فى المواقع المتنوعة ما تستحق به أن تسمى ديوان الهيآت والأحوال البشرية . لحفظ هـذه الآثار حفظ للعلم فى الحقيقة ، وشكر لصاحب الصنعة على الإبداع فيها . إن كنت فهمت من هذا شيئاً فذلك بغيتى ، أما إذا لم تفهم فليس عندى وقت لتفهيمك بأطول من هذا . وربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام وهى : ما حكم هذه الصور فى الشريعة الإسلامية ، إذا كان القصد منها ما ذكر من تصوير هيئات البشر فى انفعالاتهم النفسية ، وأوضاعهم الجسمانية ، هل هذا حرام أو جائز أو مكروه أو مندوب أو واجب ؟ .. فأقول لك إن الرسم قد رسم ، والفائدة محققة لا نزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد محى من الأذهان » .

وفى هذا المقال الذى أعلن فيه الإمام الشيخ محمد عبده عن رأيه فى موضوع التصوير ، عرض كذلك لمناقشة بعض النصوص الواردة فى التحريم ، وتناول بالشرح والتعليق حديث : « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » فقال :

مكتبتنا العربية



« إن الحديث قد جاء فى أيام الوثنية ، وكانت الصور تتخذ فى ذلك العصر لسببين : الأول اللهو ، والثانى التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين . والأول مما يبغضه الدين ، والثانى مما جاء الإسلام لمحوه ، والمصور فى الحالين شاغل عن الله أو ممهد للإشراك به . فإذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر ... ولا يمكنك أن تجيب المفتى بأن الصورة على كل حال مظنة العبادة فإنى أظن أنه يقول لك أن لسانك أيضا مظنة الكذب فهل يجب ربطه مع أنه يجوز أن يصدق كما يجوز أن يكذب ؟ !

وبالجملة إنه يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين ، لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل .

هذا هو رأى الأستاذ الإمام وهو فهم واضح لمعنى الإيمان وإدراك قوى لمقتضيات الأحوال . وهو ما فطن إليه المستنيرون السابقون من المسلمين . ولا شك أن أحدا لا يقدر أن يتهم السلف الصالح بأنه كان متهاونا بأحكام دينه أو مستخفا بعقيدة الإسلام حين عمد إلى عمل الصور والتماثيل لتزيين كل ما أبدعته يد الإنسان . وإن المخطوطات العربية المصورة التى تزخر بها دور الكتب فى العالم دليل — يضاف إلى سابق ما ذكرناه من أدلة — على أن المسلمين قد زاولوا هذا الفن دون حرج أو خوف ؛ ولم يدر بخلدهم مضاهاة خلق الله ، عنادا أو مكابرة ، ولم يتطرق إلى نفوسهم أنهم يصنعون بأيديهم صوراً أو تماثيل تعبد من دون الله ، وإنما رسموا ما رسموا لأنهم أدركوا أن الدولة الإسلامية إنما تستكمل مقومات حضارتها بالإسهام فى ميدان الصناعة والفن ، فأعلوا البناء وأبدعوا التحف وزوقوا الكتب وسخروا ذلك كله لخدمة الدين . وقد تخلف عما أبدعته أيديهم تراث حضارى ضخم أصبح هو والعقيدة الإسلامية شيئين متلازمين ، وساعد كل منهما الآخر على التوسع والانتشار ، فهل يصح أن يأتى شخص منا الآن فيناقش ما ثبت نفعه على مر العصور وما لم يظهر منه أدنى خطر على العقيدة ؟ !

أعتقد أن السابقين من أهل الإسلام كانوا أوسع فهما لمعنى الإسلام من متأخرى المسلمين وإن فهمهم العلمى لمنطق الحياة هو سر نجاحهم وسيادتهم . [ يتبع ]

مكتبتنا العربية





# موازين الأقلام

للأستاذ الشيخ كامل محمد عجلان
المدرس بالأزهر

عندما نتلفت إلى ماضى الأدب العربى ، ونقف على مفاخر القرائح التى أقامت معالم خالدة فى متايه التراث الفنى الزاخر بالألوان النفسية ، والظلال البيانية ، والزخرف المجمل من محسن معنوى ، أو طلاء لفظى ، نجد القدامى على سبق ربما أعجز المحدثين أو أسلمهم إلى التسليم ، حتى إذا طالبناهم بالاقتداء وحسن المتابعة ، لاذوا باعتذار العاجز ، وحجة المتخلف القاعد عن التدبر والتحصيل

ولن يعدم المحدث أن يقول : صناعة خلت أيامها ثم يتعلل بمطالب العصر من سرعة إلى يسر ؛ إلى إفهام ، إلى تخفف من أعباء البلاغة المغرقة فى الاستجابة ، إلى قوة البداوة ( الأموية ) أو الحضارة ( العباسية ) .

ولو أنصفنا واقع عجزنا لقلنا — معترفين — إن تقصير الأديب فى المحصول ، وتهالك الأقلام على سرعة الشهرة ، وخضوع الكتاب لعامية القراء الذهنية وضيقنا بتكاليف التمرس ، وعناء المحاولة ؛ كل أولئك وغير أولئك مما نعرف ، ونمسك عن التصريح به حياء أو كبرا — أليهم يرد سر الإباق من ميادين وضعت لها الموازين الحقة لفن القلم من رسالة أو مقامة ، أو مقالة أو أقصوصة ، وغير ذلك من صور التعبير عن الخوالج الإنسانية فى القديم المعرق فى القدم ، أو الجديد الممسك بعصم الأبداع العربى الطواف حول العمود البلاغى الموروث والمكتسب .

وسوف تثوب الأقلام — ونراه قريبا — إلى رشدها ضنا بجهدها ، وحرصا من أصحابها على أن تترك أثراً يدنيها من الخلود ؛ وإلا كانت كالتى نقضت غزلها وماتت آثارها القلمية قبل أن يخرج صاحبها من حياته الدنيوية المحدودة بعمر مهما طال أمده ، فهو أقصر من عمر الظل .

مكتبتنا العربية



وإنى لرائح بك إلى صيرفى خلاق ، وناقد مفتن دبر وأدار الرأى فى صنعة القلم ، إبّان العصر الذهبى العباسى ، ذلك هو « ابن المدبر » صاحب الرسالة العذراء التى وصفها — فى كثير من الاعتداد — بأنها بكر معان لم تفترعها بلاغة الناطقين ، ولا لمستها أكف المفوهين ، ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ، ولا سبق إلى ألفاظها أذهان الناطقين ، ثم طلب أن تكون مثالا ومصورة ومسامرة فى ليل الكاتب ونهاره .

فإذا قلبت مطارح ميزانه ، وجدت الكاتب المستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا حاول صيغة كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من ينابيعها ، وظهرت من معادنها ، وندرت من مواطنها عن غير استكراه ، ولا اغتصاب » .

ومن كان على هذا المهيع عد فى الصفوف التى نالت إعجاب « الجاحظ » : « ما رأيت قوما أمثل طريقة فى البلاغة من هؤلاء الكتاب فأنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا ، وقال خالد بن صفوان « أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبدوى المغرب ، ولا القروى المخدج ، الذى صحت مبانيه ، وحسنت معانيه ، ودار على ألسن القائلين ، وخف على آذان السامعين ، ويزداد حسنا على ممر السنين بتجلية الرواة وتنقية السراة » .

وصاحب العذراء يحذرنا مزالق التهجم والعجب مما يدفع الشداة فى الصناعة القلمية ويدعوا الذى منى بحب الكتابة وصناعتها ، إلى أن يعرض نتاجه على البلغاء والشعراء والخطباء ، ممزوجاً بغيره ، فإن طلب ، كان له أن يكشف عن نفسه ، وإن رأى القلوب ذاهبة عنه استدل به على التخلف والتقاصر عن أهل الأدب والبلاغة وصناع الجمال الخالد .

ووصاة ( ابن المدبر ) للمحاولين والمزاولين يزجيها مشرقة صريحة ( إن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب ، فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرضت ، وعاير الكلمة بمعياره إذا سنحت إلى أن يقول : وأدر الألفاظ على أعكانها وأعرضها على معانيها ، وقلبها على جميع وجوهها . ولا تجعل اللفظة قلقة فى موضعها نافرة عن مكانها ) .

مكتبتنا العربية



وإنه بذلك يتحاشى النسج المهجن ، كما يتجنب الثوب المرقع .

وصاحب العذراء مع غيره فى أسس الصناعة التى لا تقوم بدونها ، مهما كان استعداد رب الموهبة .

من ذلك ، تصفح فن المتقدمين ، ونوادر ما يستعان به ، يستوى الشعر والخبر والسير ، والسمر والمقامة ، والخطبة والمحاورة . وما توافد وترافد من الثقافات الداخلة على العرب .

وفى الطليعة بعد علوم الوسائل : التمهر فى نزع آى القرآن واجتلاب الأمثال ، واختراع الألفاظ الجزلة إلى غير هذا مما يحلى ويزين ثمرات اليراعة الفارعة البارعة بعد أن يكون الكاتب صحيح القريحة ، حلو الشمائل عذب الألفاظ ، دقيق الفهم ، حاذق الحس ، محنكا بالتجربة ، عالماً بحلال الكتاب والسنة وحرامهما ، مع براعة الأدب وتأليف الأوصاف .

والتفاوت فى العلاج البيانى على قدر المقامات والأوضاع التى يهدف إليها الكاتب مطلوب ابتداء ، فلا يعتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً جزلا لائقاً بمن كاتبته ، ومشابهاً لمن راسلته ، فإن الباسك المعنى - وإن شرف وصلح - لفظا مختلفاً عن قدر المكتوب إليه ، لم تجر به عادتهم تهجين للمعنى وإخلال بقدره ، وظلم لحق المكتوب إليه ، ونقص مما يجب له » .

ولا خلاف على شرف القلم ، وإنما الخلاف على كيفية البلاغة ، ولسنا بصدد إحصاء الاتجاهات ، ولكنا مع خالد بن صفوان نؤثر موجز تعبيره ( ليس البلاغة بخفة اللسان ، ولا بكثرة الهذيان ، ولكنها إصابة المعنى والقرع بالحجة ) .

وليس هنا مكان سرد المثل ، وجمع الآراء والأقوال ، لأن مرادنا التذكير بالموازين التى تعصم ولا تقيد ، وترتفع بالذوق دون أن ترد الخلاقين المبتكرين إلى نكسة التقليد .

ويحسن أن نؤسس أدبنا المحدث من أول درس إنشائى على قوة من الماضى وتقوى من الأدب الرفيع ، لتتمكن من القضاء على الليونة والترهل والإسفاف ، والنزول بالتعبير عن الخوالج والآراء إلى درك هزيل يولد وجه النهار ، ويموت إذا مالت الشمس للغروب .

مكتبتنا العربية



# العـــربية

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

أستاذ بكلية اللغة العربية

---

العربية ، اسم كتاب ألفه المستشرق الألمانى : يوهان فيج ؛ وعرّبه الدكتور عبد الحليم النجار ، عضو البعثة الفهمية إلى المانيا ، وأحد مدرسى كلية الآداب فى جامعة فؤاد ، ومبعوث الأزهر إلى فرنسسكو .

وبنو النجار : الأستاذ محمد فى كلية اللغة العربية ، والدكتور عبد الحليم ؛ من القوى التى تعمل كثيرا ، ولا تتكلم كثيرا ، ولا قليلا عرفت أولها ، معرفة خلاط ومشاركة ، وزمالة ؛ نعرفت : نبالة الخلق ، وتواضع العلماء ، وإخلاص المؤمنين ، وأمانة الثقات الأثبات ، ورسوخ الجبال الراسيات .

وعرفت الآخر عن طريق الأول ، فعرفت الكثير ، فى الزمن اليسير ؛ وأدركت تشابه الغرارين ، وتماثل الشقيقين .

ولا غرو ؛ فأنهما ينزعان فى ذلك إلى عِرْق ؛ فلقد عرفت المغفور له والدهما الكريم : الشيخ على النجار من كبار علماء الأزهر ؛ وتلقيت عنه حاشية السمرقندية فى البيان ؛ وكان صورة مكبرة من ولديه ، لا يفترق عنهما ، إلا فى أنه ـ رحمه الله ـ كان حسن التقاطيع ، جميل العينين ، مليح الوجه ؛ فأما هذان ، فأنهما ـ ولا حياء فى الحق ـ من الخناشير !

* * *

وكتاب « العربية » يمتاز بأن مؤلفه ، قد نخل كتب العربية فى أرقى عصورها ، نخلا دقيقاً كل الدقيق ، ثم طرح الفضول والحواشى ، وأودع كتابه الجوهر المتخير ، واللباب المتنخل ! فإذا قرأته وكنت مطلعا ضليعا ، استذكرت كل ما درست ، وصححت كثيرا مما علمت ؛ وإذا قرأته خفيف الإلمام بكتب اللغة

مكتبتنا العربية



العربية ، حملك حملا ، على المراجعة والدرس والبحث ؛ فهو ليس مؤلف عالم تنتهى غايته عند حدود كتابه ، ولكنه مؤلف سياسى واسع الأفق ، يضع البذرة موضع الشجرة ، والذرّة موضع الدرة ؛ ثم يترك للقارئ فرصة التنمية والاستكمال ؛ خدمة للعلم ، وتطلبا لإدراك الكمال .

* * *

والدكتور عبد الحليم النجار ، دل بهذا الكتاب على أنه ليس عالما حسب ، بل على أنه ـ مع ذلك ـ داهية أريب ! فموضوع الكتاب ، من صميم موضوعات اللغة العربية ؛ وتعريبه فى هـــذا العهد ، الذى كثر فيه الكلام حول اللغة بين المحافظين والمجددين ، يضع أمام الباحثين شهادة حاسمة من شاهد غير متهم ، لا يسع المجمع اللغوى ولا غيره من مؤسسات اللغة ، استنكارها ، ولا الغض من شأنها . فالأمر ليس فى بدع اختيار الدكتور لتعريب هذا الكتاب بالذات ؛ بل إن انتهاز الفرصة فى إخراجه اليوم أبدع وأبرع . وقديماً قيل : اختيار الرجل قطعة من عقله . وإذا أضفنا إلى ما سبق ، أن الدكتور قد ترجم هذا الكتاب ، ترجمة الدارس الهاضم المطمئن ، الذى تسعفه مدّخراته اللغوية بكل ما يطلب ، ويجد ما يقوله فى كل موقف ، ولا يخفى على قارىء أنه مستكمل الأداة ـ أقول : إذا أضفنا هذا إلى ما سبق ، عرفنا كيف تمهد الدكتور عبد الحليم النجار لجلال مستقبله ، وأدركنا مدى الجهود التى بذلها ، فى مطلع هذا الأساس الرصين ، لذلك البناء الشامخ الرفيع إن شاء الله ! .

* * *

ولعل أهم ما عرض له هذا الكتاب ، مما لم أره فى غيره من كتب العربية : عربية ومعربة ، وكرره عند كل مناسبة :

صلة العربية بالإسلام :

فهو يقول فى مقدمته :

« لم يحدث حدث فى تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً فى تقرير مصيرها من ظهور الاسلام ؛ فنى ذلك العهد ـ قبل أكثر من ١٣٠٠ عام ـ عند ما رتل محمد صلى الله

مكتبتنا العربية



عليه وسلم القرآن على بنى وطنه بلسان عربى مبين ، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد ، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج فى مستقبل هذه اللغة » .

ويقول فى ص ٥٠ :

« لم تهو اللغة العربية فى هوة السقوط الذى حاق بالدولة العربية ، على الرغم من أن جزيرة العرب وسورية بالذات ، أى الأقليمين الوحيدين اللذين لم يكن اللسان العربى فيهما قلة تجاه ألسنة أصيلة الديار ، هما اللتان أصابهما هذا الانقلاب السياسى بشدة وطأته فى الصميم ، ولماذا لم تنزل عن المسرح مع طبقة السادة العرب الذين كانوا - حتى ذلك الوقت ، ولا يزالون ممسكين بزمام القيادة والتوجيه - لغتهم كذلك ؟ ربما كان سبب ذلك ، هو أن لغة القرآن قد صارت فى شعور كل مسلم ، أيا كانت لغته الأصلية ، جزءاً لا ينفصل من حقيقة الإسلام ، حتى إن الفرس الذين باشروا الحكم إذ ذاك ، لم يكونوا يستطيعون التفكير فى رفع إحدى اللهجات الإيرانية لتكون لغة الدولة ؛ بل حتى فى فارس ، كان يجب أن يمضى قرن بعد لتحتفل اللغة الحديثة للأدب الفارسى ببعث حياتها » .

ثم يقول فى ص ٢٠٩ :

« وإذا نسب إلى ابن محمود هذا - السلطان محمود ٥١١ - ٥٢٨ هـ - أنه كان جيد الدراية بالعربية ، فلا يقصد من ذلك إلا أنه تلقى تعليما مؤسساً . لأن العربية قد حفظت مكانتها الفذة من حيث هى لغة القرآن ، والعبادة ، والفقه القانونى ؛ ووجدت من أثر السياسة الدينية الشديدة المحافظة ، التى سار عليها السلجوقيون عناية أكثر من أى عهد سابق » .

ثم يختم مطافه بهذه الأحكام الدامغة الحاسمة ، فيقول فى ص ٢٣٣ ، وهى آخر الكتاب :

« وقد ظهر أخيراً أثر آخر من آثار التآثر بالغرب ، حيث علت أصوات فى دوائر بعض دعاة الإصلاح فى مصر ، تنحى بالنقد على العربية الفصيحة نفسها ، وتتحدث عن صبغ التعليم اللغوى بصبغة جديدة ، تواثم قواعد التربية اللغوية الحديثة .

مكتبتنا العربية



وقد كان لزاماً على العربية الفصيحة أن تقضي على تلك الحركة ؛ لا لأن انتصارها قد لا يبقى أثراً للنحو العربي ، بل لما هو أهم من ذلك ، وهو أن الحركة المذكورة تراعى اللهجة المحلية رعاية قوية ، يتعسر ، أو يتعذر معها استخدام اللغة الجديدة رباطاً عاماً لكل البلدان الناطقة بالعربية ؛ وبهذا يمتد الإشكال ، ويخرج من الدوائر اللغوية الضيقة ، إلى دوائر الثقافة الإسلامية عامة .

وإن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيا لهذه الحقيقة الثابتة : وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية ، وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي ، رمزا لغويا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية .

ولقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد ، على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها الى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر .

وإذا صدقت البوادر ، ولم تخطىء الدلائل ، فستحتفظ أيضا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية » ! .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

ومن أهم ما عرض له كتاب « العربية » حجية القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، في أمور اللغة .

فهل يقول في ص ٢٢٦ بعد كلام طويل :

« ويقال : إن أول من اعتمد على الأحاديث من حيث هي حجة في أمور اللغة ، هو النحوي ابن خروف الأندلسي الذي اختل في آخر عمره ، ومات في حلب في أوائل القرن السابع الهجري ، والذي نال شرحه على « الكتاب » لسيبويه ، و « الجمل » للزجاج ، حظوة كبيرة .

وتبعه في ذلك أشهر نحاة القرن السابع : ابن مالك ؛ وقد كان عظيم الاعتداد والاهتمام بالحديث ؛ حتى إنه عاون « اليونيني » على تصحيح نسخة من البخاري ، وألف مصنفا خاصا في تفسير بعض النصوص الصعبة من الحديث . وهو يرى أن

مكتبتنا العربية



القرآن هو أوثق المصادر وأصحها فى أمور اللغة ، وتجىء أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك مباشرة ، فى المرتبة الثانية ؛ على حين أن كلام البدويين من الأعراب فى المرتبة الثالثة » .

أقول : وقد سبق لى أن نشرت فى مجلة الأزهر رأيا يخالف هذا الرأى .

وفى الكتاب ، غير ما ذكرت ، ما لا يؤديه بأمانة إلا الاطلاع والدرس ؛ ويسعدنى أننى قد اخترته فى مقدمة الكتب الثقافية لكلية اللغة العربية ، مُصاص الجامعة الأزهرية ، ودرة تاجها الكريم .

* * *

أما بعد ، فأنه يلذ لى أن أساور الدكتور النجار : ذلك العملاق الجبار ؛ سوارا أكرمَ غاياته بى ، أن أعرفه عن عيان ، أنى درست كتابه ، من : تمهيد ، إلى : أبى نخيلة السعدى . أى من أول حرف لآخر حرف .

ذلك أنى فى أثناء قراءتى لكتابه الكريم ، وقفت عند المواضع الآتية :

ص ١٧ س ٤ — كانت توجد فى البصرة جالية .
وحذف « توجد » هنا واجب .

ص ٥٧ س ٣ — فكثير من صيغ الأسماء فى العربية القديمة .
يقل عنده أو ينعدم تماما .

---

والفعل « ينعدم » لا تعرفه اللغة .

ص ٥٩ س ٦ — وبما أن الشعوب والأقوام فى المدن العظمى

---

وهو تعبير فيه عامية .

ص ٨٢ س ١٥ — كانت سائدة فى الوديان والسهول .

---

مكتبتنا العربية



واللغة تعترف بالأودية ولا تعرف الوديان .

ص ٨٣ س ٢ — فى هذا الموضع وفى غيره وضعت همزة .
فوق ألف : أفريقية .

---

والذى فى القاموس : إفريقية كجليقية ،
بكسر الأول ، وتشديد الياء الأخيرة .

ص ٨٩ س ٢ — فعلى رأى ابن سناء الملك ، ينبغى أن تكون « الخرجة » فيما عدا المديح ، لأنها تتضمن اسم الممدوح فى هذه الحالة بعيدة عن أسلوب السخف الحجّاجى ، وأن تكون صيغتها على قالب ابن قزمان ، أى فى أسلوب ملحون .

ونص عبارة ابن سناء الملك فى دار الطراز : والشرط فيها (الخرجة) أن تكون حجاجية من قبل السخف ، قزمانية من قبل اللحن ، حارة محرقة ، حادة منضجة ، من ألفاظ العامة ، ولغات الخاصة الخ .

ص ١٩٣ س ٧ — طالما استحي ( كذا ) من اللحن اللغوى . والصواب أن ترسم « استحيا » بالألف .

ص ٢٠١ س ٧ — وأحسن ما تراهم يتكلمون بالفارسية . حتى ينتقلوا إلى العربية .

وهو تعبير غير مفهوم .

والكمال المطلق ليس من صفات البشر ؛ بل هو لله وحده ؟

مكتبتنا العربية



# سياسة الحزم

لفضيلة الأستاذ الشيخ السيد شريف
المدرس بمعهد القاهرة

رسم الدستور الإسلامى للمسلمين سياسة الحزم والقوة والإقدام والصراحة بعبارته المحكمة الخالدة « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » . وقد نفذت هذه السياسة فى غير خوف أو تردد ، رغم ما لقى دعاتها وناشروا لوائها بادىء الأمر من ضيق وعنت وقسوة وظلم . حتى آتت ثمارها طيبة موفورة بما أفاضه الله على المسلمين من نصر مؤزر بفضل تمسكهم بعقيدتهم وتفانيهم فى حقهم . وإيمانهم بأن القلة الصابرة لا تثبت أمامها الكثرة الباغية . مما جعل المشركين يدخلون فى دين الله أفواجا . نابذين وراءهم تلك النعرة الجاهلية المرذولة التى دفعتهم فترة من الزمن . أن يشمخوا بأنوفهم عن الإصاخة لما يدعو إليه الدين الجديد الذى قدس المساواة ودعا إليها . وحث على التمسك بها فى قوله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وقول رسوله « كلكم لآدم وآدم من تراب » . لتبقى لهم منازلهم الموروثة ومجدهم القديم . كما أنزل اليهود من صياصيهم وأخرجهم من معاقلهم وآطامهم . ودفعهم إلى أن يمدوا أيديهم يتغون من رسول الله المودة والأمن بعد أن قصرت بهم عن الوصول إلى مآربهم وسائل الكيد المتنوعة التى اقترفوها . وقد كانوا يكيدون للإسلام والمسلمين مرة بالدس والإرجاف . ثم بالمراء والجدل فيما يعلمون وما لا يعلمون . وأخرى بتحريف الكلم عن مواضعه . وإلباس الحق بالباطل مدفوعين إلى ذلك . بكراهتهم للرسول حيث قد رأوا فى دينه منافسا يوشك أن يقضى على نفوذهم وينتزع منهم لواء الزعامة ، لأنه عربى من أكرم بيوتات قريش . فهو لذلك أقرب إلى نفوس المدنيين منهم . وقد تمسك المسلمون بتنفيذ هذه السياسة بعد رسول الله . ويتجلى ذلك فيما افتتح به أبو بكر رضى الله عنه خلافته ، حينما بدأت القبائل تخرج عن الطاعة تنتحل لصنيعها المعاذير التى تتفق ومآربها . فقد أرسل إلى الخارجين أحد عشر قائداً . وأمر كل قائد بالسير إلى ناحية من نواحى بلاد العرب . بعد أن كتب له عهدا يأمره فيه بالجد فى أمر الله

مكتبتنا العربية



ومجاهدة من تولى عنه . ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان . وأمره ألا يرد المسلمين عن قتال عدوهم . ولا يقاتل إلا من كفر بالله ورسوله . ثم نصحه بأن لا يدخل فى المسلمين حشواً حتى يعرفهم . ويعلم ما هم . لئلا يكونوا عيونا يؤتى المسلمون من قبلهم ، وقد كللت كل هذه الحملات بالظفر واستؤصلت شأفة المرتدين من الجزيرة العربية بفضل الروح القوية الوثابة التى غرسها رسول الله فى نفوس صحابته وأتباعه ، فلم يهنوا ولم يستكينوا . ولو أنهم قد ترددوا أو ضعفوا لاندلع لهيب الفتنة قويا مدمراً وأحرق لهبها ذلك التراث المجيد . وأتت على أناس دفعهم المغرضون إليها وهم حسنوا النية لم يقصدوا إلى غاية . شأن سائر الفتن والثورات الحاقدة ينهض بها ذوو الأغراض السيئة . والمقاصد الوضيعة . إن ضعف القادة والمصلحون عن مناهضتها . أشاعت الذعر فى النفوس . والقلق فى القرى والأمصار . وبذلك يتهيأ لمثيريها ما يهدفون إليه من تدمير وإفساد .

ولكن الله قيض لهذا الدين رجالا عاهدوه على نصرة دينه . وبذل ما يستطيعون من تضحيات جسيمة لتبقى كلمته قوية مهيبة . كما نزلها الرسول . وفى سبيل هذه الغاية استهانوا بما يقدمون من جهد وبذل . وبذلك تم لهم النصر بإذلال البغاة المعاندين . وتأمين الضعفاء الخائفين .

وساد الحزم فى غير عنف وقسوة ، سياسة أبى بكر رضى الله عنه . كما هو واضح فى عهده إلى ولاته . حتى تلقى العهد منه عمر بن الخطاب . فأعلى شأن هذه السياسة ، ونفذها على صورة صريحة انتظمت جميع مرافق الدولة . فأشعرت الجميع بعظم التبعة ، وثقل المسئولية ، وأن كل فرد حسابه وجزاؤه على ما عمل ، ليس له من شفيع إلا أن يكون قوياً فى إخلاصه ، صادقاً فى وفائه . وتنفيذاً لذلك ، كان إذا أمر بشىء أو نهى عنه بدأ بأهله ، فجمعهم وقال لهم : « إنى نهيت عن كذا وكذا ، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير . وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا ضاعفت عليه العقوبة ، وكان يتحرى فى عماله طهارة الذمة وأصالة الرأى ومضاء العزيمة ، وشرف المقصد . ثم يكتب لكل عهداً ، ويشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار . ويشترط عليه ألا يركب برذوناً ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس ، ويتوعد من يجترىء على سلطان المسلمين ، بل ينزل به العقاب مهما سما قدره ، ونبه شأنه . وطاب فى الخالقين ذكره . وقد

مكتبتنا العربية



تجمع له مال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه . فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه ، فعلاه عمر بالدرة . وقال إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله فى الأرض فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك .

وقد ملأت هذه السياسة القلوب هيبة لم يشبها مقت . ووداً لم يشبه جرأة ، ولما تهاونوا بعد ذلك فى التمسك بها ، وكان لابد منها لإدارة الدولة الإسلامية بعد أن اتسعت رقعتها ، وترامت أطرافها . وجنحوا إلى سياسة جديدة أباحت لبعض الطبقات تملك الضياع . واقتناء القصور ، والاستمتاع بحياة مترفة ناعمة . وتركت للأغنياء أمر الزكاة يدفعونها كما يشاءون . كانت نتيجة هـذا التهاون تلك الفتن الهوجاء ، والثورات الدامية التى أصابت كيان الدولة فى شبابها بالوهن والضعف . وأقعدتها عن السير قدما إلى الأمام . واستمرت حقبة من الزمن تعانى آثار هذا التخاذل إلى أن فيض الله لها من أخذ بيدها ، وآسى جراحها .

وما أحرى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها - وقد وضحت لهم نتائج السياستين - أن يأنسوا بسلفهم فيتمسكوا - فى عزم وقوة ، ويقين وإيمان - بسياسة الحزم مع أعدائهم ، ويعملوا متكاتفين متساندين .

وها هى ذى مصر الشقيقة الكبرى لدول العرب تنتهج هذه السياسة ، لها من سيرة زعيمها رسول الله أول من ألقى على سمع الزمن دروس الشجاعة والكفاح . ومن ثقتها بعدالة قضيتها ، وتصميمها على البذل والتضحية . واعتزازها بتأييد شقيقاتها ، ما يجعلها تزمن إيماناً لا يخامره شك ، بأن على الباغى تدور الدوائر ، مهما تمادى فى طغيانه ، واشتط فى بغضائه ، وإن النصر للمجاهدين الصابرين : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

وصفحات التاريخ القديم والحديث ، حافلة بما لقيته فى جهادها الأمم التى تطلعت إلى الحياة الكريمة من إسفاف فى العداوة ، وإمعان فى التنكيل والإيذاء ثم كانت عاقبة أمرها الحصول على حقها فى الحرية كاملا غير منقوص . تلك سنة الله « ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

والله يهدى العاملين المخلصين إلى الخير والرشد ، ويكتب لهم التوفيق والسداد إنه سميع مجيب .

مكتبتنا العربية



# السلاح ، التعبئة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليفة
المدرس بالأزهر

---

هذا هتاف صارخ جاوز الحناجر الى الجو ، فكاد يهز البروج ، وتردد فى الشرق صداه فأيقظه من سكرة الأحلام وغفوة الأوهام وضجعة الاستسلام ، وإنه لهتاف صادق ، ولكنا نريد ثورة جديدة وسلاحا جديدا وتعبئة جديدة .

نريد ثورة لا يقع غرمها على خزينة الدولة ، ثورة لا تعرف تحطيم المعاهد والمدارس ، ثورة نختزن فيها قوة الشباب ورجال الأمن لليوم الفصل . لا ثورة يصطرع فيها مصرى مع مصرى ، قد تراق فيها الدماء ومصر أحوج ما تكون الى قطرة منها .

نريدها ثورة لإيقاظ الوعى وتنبيه المشاعر ، نريدها ثورة تجمع القلوب وتوحد الصفوف . نريدها ثورة تعلن أن استعباد الشعوب جور لا يقبله أحط الشعوب .

ولا يقيم على ضيم يراد به ألا الأذلان : عير الحى والوتد

نريدها ثورة داخلية على الأخلاق التى انحلت ففقدنا الشعور بالواجب والإحساس بالمسئولية ، والاكتراث بالخطر فى أعنف مواقفه لا عن شجاعة ولكنه الاستهتار الأثيم .

نريدها ثورة من الرجل الدافق بالوطنية . على الرجل الخامل المسالم المستسلم الذى يلوك أحاديث الضعف والخور .

نريدها ثورة من الشباب المؤمن بربه ووطنه . على الشباب الذى لا يعرف شيئا غير الحياة بين أحضان الشهوات .

نريدها ثورة من المرأة التى عرضت فى سنة ١٩١٩ صدرها لرصاص الجبارين الغاصبين وخاضت مع الرجل معارك الحرية . على المرأة التى فتحت اليوم صدرها لنظرات الشياطين وعاشت ، لزينتها لا لبيتها ووطنها .

هذه هى الثورة التى تريدها مصر من أبناء مصر .

مكتبتنا العربية



أما السلاح الجديد فهو ذلك السلاح الذى تسلحت به جيوش الغزاة الذين حطموا أنف الكسروية وأذلوا خيلاء القيصرية ، ذلك السلاح الذى أقام به الحفاة وأشباه العراة ملكا خضع كله لرسالة الصحراء .

إنه سلاح الإيمان القوى الذى لا تزعزعه أهوال الموت ولا يلين قناته الحديد والنار .

إنه سلاح التضحية الصادقة لله وللوطن ، التضحية بالمال والولد ثم بالروح كلما دعا الداعى للبذل فى سبيل الله .

إنه سلاح القناعة التى تملأ قلب المؤمن ، فيحارب يومه دون أن يطعم سوى تمرات تزوده بحرارة الحياة ، وبين جنبيه حرارة الإيمان تخلق منه صاعقة تبيد وتهلك ، إنه سلاح الزهد الذى كان يدفع أثرياء المسلمين إلى النزول عن أكثر ما لهم بل عن كل مالهم للدولة تعد به الكتائب وتنفق منه على الجيوش المحاربة .

إنه سلاح التواضع من القواد المظفرين الذين يدكون القلاع ، ويزلزلون الحصون ، ثم هم لا تنتفخ أو داجهم ولا يشمخون بأنوفهم على محارب وهب حياته لله ، ثم هم لاتأخذهم العزة إذا عزلوا عن القيادة فأصبحوا جنودا كغيرهم ، بل إنهم المحاربون البواسل فى القيادة والجندية على السواء .

إنه سلاح الأخوة فى الله التى فرضت على كل مسلم ألا يترك مسلما أسيراً ، أو صريعا ، وإنما يضحى بحياته فى سبيل فك أغلال الأسر عن أخيه أو الثأر لدمه .

هذه هى الأسلحة التى فتح بها المسلمون الأولون فتوحاتهم ، وهى التى يجب أن نتسلح بها قبل أن نخوض معارك الحرية والخلاص .

إن المدفع والطائرة والغواصة والأسطول ، أسلحة لا تجدى إذا لم تحركها قوى مؤمنة مضحية قانعة ، زاهدة متواضعة متآخية متفانية فى الله وفى سبيل الوطن .
وأما التعبئة الجديدة ، فهى تعبئة الناس والقوى والمال لحياة وادى النيل . تعبئة الأمير وابن الأمير والوزير وابن الوزير والأغنياء وأبناء الأغنياء ، قبل أن يعبأ الفقراء وأبناء الفقراء ، إنها ضريبة الدم فرضت على أبناء الوادى ، فيجب أن يساهم كل بيت ، بل يجب أن تكون ضريبة الدم تصاعدية لا فى الأموال بل فى الأنفس

مكتبتنا العربية



قبل الأموال ، فالقصور يجب أن تدفع ضريبة نعيمها الماضى ولهذا الوطن أن قبل تقدم الأكواخ .

ويجب أن تعبأ قوى العقول والافكار والأيدى والأجسام لحياة الوادى وخيره ، فالمهندس والصانع والعامل والكاتب والشاعر والعالم كل أولئك يجب أن تعبأ قواهم لمصر قبل الجندى والقائد .

وتعبئة الأموال أعظم ما تحتاجه مصر فى كفاحها المرير ، فمال الدولة لا يكاد ينهض بنفقاتها ، فلتعبأ الأموال التى تعج بها المصارف والخزائن لخير مصر التى أغدقت على الأغنياء هذه الأموال ، وإن الضرائب - وإن جلت - لا تنشىء مصانع حربية ولا تشيد طائرات ولا أساطيل ، فليتنا نسمع ببذل كبذل أبى بكر حين يجود بكل ماله للتعبئة ، فيقول له الرسول صلوات الله وسلامه عليه : وماذا تركت لأولادك يا أبا بكر ؟ فيجيبه فى ثقة واطمئنان ورضا : تركت لهم الله ورسوله .

وهنا يجب على المرأة أن تساهم فى هذه التعبئة ، فتتبرع بنفقات زينتها ، وإنها لكثيرة ، لكتائب الجهاد . وكم موقف من مواقف البذل جادت فيه المسلمات الأوليات بزينتهن للعتاد الحربى ، فألقين بأقراطهن وخلاخيلهن ودما لجهن فى حجر بلال بعد أن دعاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البذل للجيوش الإسلامية فجدن بما يملكن ونفوسهن راضية ... أيها الثائرون .

إن الثورة المطلقة تقوض أكثر مما تبنى وتخرب ما قد يعجز الزمن عن تعميره وربما تحكمت فيها الفوضى فنزعت بها الى التحلل من الأخلاق فاستباحت كل شىء وأتت على كل شىء .

أيها المطالبون بالسلاح .

سلحوا أنفسكم بالأخلاق أولا ، فليس من الرأى أن تحمل كف سلاحا لاتجيد استعماله ، فقد تشهره فى وجه مواطن مخالف فى رأى ، أو غريم ينافس فى امرأة أو مغنم رابح ، قبل أن تسدده إلى صدور الأعداء ، فلتتسلح بالأخلاق قبل أن يدوى النفير لحمل السلاح .

أيها الداعون الى التعبئة .

طالبوا بتجنيد العظماء وتعبئة أموالهم وجميع قوى الأمة لخير مصر والسودان فإن فعلتم ، فالنصر لمصر والإسلام ، والمجد لهما .

مكتبتنا العربية



# الشفاعة في الحدود

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم أحمد الوقفى

المدرس بمعهد القاهرة

---

الحدود . إذا لم ترفع إلى الحاكم وقبل أن تصل إليه . فالشفاعة فيها مشروعة ، دعا إليها الشرع وحبب فيها ، فقد أخرج أبو داود والنسائى والحاكم وصححه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه ( تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب ) وأخرج الطبرانى عن عروة بن الزبير قال : لقى الزبير سارقا فشفع فيه فقيل له : حتى يبلغ الإمام ، قال : إذا بلغ الإمام فلعن الله الشافع والمشفع . وروى مرفوعا : اشفعوا ما لم يصل إلى الوالى . فإذا وصل إلى الوالى فعفا فلا عفا الله عنه ، وقد روى أن صفوان بن أمية طاف بالمسجد فصلى ثم لف رداء له فى برده فوضعه تحت رأسه فنام ، فأتاه لص فاستله من تحت رأسه فأخذه فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن هذا سرق ردائى ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أسرقت رداء هذا ؟ قال : نعم ، فقال : إذهبا به فاقطعا يده ، قال صفوان : ما كنت أريد أن تقطع يده فى ردائى ! ! قال : فهلا كان هذا قبل أن تأتينى به ؟ ويعجبنى فى هذا المقام ما روى عن الإمام مالك رضى الله عنه أنه فرق بين من عرف بأذية الناس واعتبار المنكر ، وبين غيره ممن لم يعرف بالقبيح ولم تجر له عادة بمزاولة المنكرات وإنما زلت به القدم فقال : لا يشفع فى الأول مطلقا ردعا له وفى الثانى تحسن الشفاعة له ، قبل رفع أمره إلى الحاكم لا بعده . وتحمل الأحاديث الواردة فى الترغيب فى الستر على المسلم على من لم يعرف بأذية الناس .

وإذا رفعت الحدود إلى الإمام فالشفاعة فيها حرام إجماعا ، ويجب على الحاكم رفضها وعدم النظر إليها وتعزير من يشفع فيها ، فقد روى أحمد وأبو داود عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو مضاد الله فى أمره .

مكتبتنا العربية



وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حد يعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا » . ولأن تنفيذ الحدود مما ينتفع به ، لما فيه من طاعة الله بتنفيذ أحكامه وعدم الرأفة بالعصاة وردعهم عن هتك حرم المسين ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة فى صحيحى البخارى ومسلم أنه خطب فقال : أيها الناس إنما هلك الذين من قبلكم أنه كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا الحد عليه . فإذا كان ترك الحدود والمداهنة فيها وإسقاطها عن العظماء موجب للهلاك وسخط الله كانت إقامتها على الجميع من غير فرق بين شريف ووضيع من أسباب الحياة والسعادة فيها وتطهير المجتمع من الرزايا والوهن .

وحديث ابن عمر المذكور فيه دليل على تحريم الشفاعة فى الحدود والترهيب لفاعلها ووصفه بأنه مضاد لله ومحارب له ومعطل لحدوده .

هذا هو حكم الإسلام فى الشفاعة والوساطة أبلج ناصعا ، وهو أنجع دواء شرعه رب الناس للناس لقطع دابر الوساطة وصيانة الحقوق وتقييد الحكام والحد من سلطانهم وجورهم ، وتحذيرهم من قبول الشفاعات فى الأقارب والمحاسيب ، بالتجاوز عن مفاسدهم والتغاضى عن جرائمهم ، مما يغريهم على التهام حقوق الضعفاء والتجارؤ على حرماتهم ، ومن الكيل للناس بكيالين ، واعتبار القانون حقاً واجب التنفيذ إذا زل فقير أو ضعيف .

وهل هناك أشد من هذا التحذير والوعيد للعافين عن حدود الله ، وحقوق الناس بعد تقررها من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ( من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو مضاد الله فى أمره ) . وقد بلغ به الغضب أقسى غاياته حينما توسط أحب الناس إليه ، أسامة بن زيد ، ليعفو عن فاطمة بنت الأسود المخزومية عند ما أراد قطع يدها ونهره فى عنف وقسوة وقال : يا أسامة ، لا أراك تشفع فى حد من حدود الله عز وجل ، ثم قام خطيباً وقال : أيها الناس ، إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذى نفسى بيده ، لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها .

مكتبتنا العربية



فأين نحن من هذه التعاليم السامية ؟ وفى أى جاهلية نعيش ؟ إننا حين نسمع هذا ثم ننظر إلى أحوالنا التى نصطلى بها تمتلىء قلوبنا غما وكمدا ، ونهوى من شاهق السماء إلى أرض طينية وأوحال آسنة ، وننحدر من دنيا الإنسانية فى أسمى معانيها إلى دنيا الغاية وما فيها من وحوش ضارية وبهيمية مهلكة !!

ننظر فلا نجد حولنا إلا أشباحا تتشح بلباس الملائكة ، وتخفى أنياب الذئاب ومكر الثعالب ، ولا نجد إلا قلوبا خوت من الإيمان والكرامة ، وتملكها شعار الشهوات والولوغ فى الجيف ، تبيع دينها بعرض الدنيا ، وتعرض أوطانها وأرواح المجاهدين للخراب والفناء لقاء دريهمات معدودة ، وتصلى أبناء الوطن سعير الغلاء وتطحن كواهلهم بنفقات العيش ، وهم العيال ، وتسكين صراخ الأمعاء بالتحكم فى الأسعار واحتكار السلع ، والاستيراد والتصدير ، وهم آمنون سيف القانون متحصنون منه بجاههم وسلطان أموالهم ، لا يبالون بعقاب الآخرة ووخز الضمير وبارك الله فى قرارات حظر النشر بحجة المحافظة على سرية التحقيق ، والويل والثبور للصحف التى تتجاسر على مخالفتها لترسل ضوءاً يكشف مخازيهم ويمكن العدالة من رقابهم ، فإن التعطيل والمصادرة والغرامات الباهظة فى انتظارها ، ثم ينافس التحقيق أهل الكهف فى نومهم ، والأيام وتغير الظروف كفيلة بنسيانه وقبره ، حتى إذا بعث لعامل ما فإنه قد يختم بالعبارة المألوفة : يحفظ التحقيق لعدم كفاية الأدلة ، وما علينا إلا السمع والطاعة والهتاف بعدالة القانون الأرضى .

إن العفو بعد تقرير العقوبة نظام لا يعترف به الإسلام ، ولا يقره الدين ، وحقوق الناس لا يملكها إلا أهلوها ، وحق العفو عنها غير مشروع لغير أصحابها ، فمن عفا فى غير حقه وملكه فعفوه باطل ، وعرض نفسه لغضب الله وسخطه وحملها وزر الخطيئة وإثمها ، ويوم القيامة يتعلق المظلوم برقبته يستوفى منه مظلمته ( وما ربك بظلام للعبيد ) ؟

مكتبتنا العربية



# تَرِفْ وَصَلِفْ

## لحضرة صاحب السماحة: « السيد »

---

تَرِفْ شَمَائِلُهُ تَرِفْ حَرْبٌ عَلَى شِيَمِ الصَّلِفْ
شَرَفُ التَّجِلَّةِ سَيِّدٌ خَجِلٌ بِمَوْكِبِهَا دَنِفْ
أَدَبٌ يَشِفُّ عُدَاتَهُ حَسَداً وَيُوشِكُ أَنْ يَشِفْ
لله مُقْتَبَلُ الحِلَى وَالزَّهْرُ مُبْتَسِمٌ يَجِفْ
حُرٌّ تَعَطَّفَ حِلْيَةً كَحِلَى الْأَسَاوِرِ تَنْعَطِفْ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

عَكَفَ الْجَلَالُ عَلَى فَتًى كَلِفٍ بِعِصْمَةِ مُعْتَكِفْ
الْحُرُّ تَجْهَلُ وَجْهَهُ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عُرِفْ
شِيَمٌ قُطِفْنَ مَلَاحَةً كَأَخِي الْأَزَاهِرِ يَقْتَطِفْ
الْحَمْدُ بَسْمَةُ مُحْتَفٍ وَالسِّحْرُ لَثْمَةُ مُقْتَطِفْ

مكتبتنا العربية



# عيد الحـــرية

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

---

يومٌ من المجد شاقتنا بواكره ... وهزّت الشرقَ والدنيا بشائرهُ
لاح الصباح به جذلانَ مبتسماً ... يشعشع النور فى الآفاقَ سافره
ضجتْ له جنبات النيل هاتفةً ... وصفقت فوق شطيه أزاهره
والشعب أضناه ذل الصمت فانفجرت ... نشوى تجلجل بالبشرى حناجره
شقّت بها حجب الآفاق صادعةً ... بالحـــق والله فى علياه ناصره
ثارتْ على ظلمه العاتى فوارسه ... وحطمت قيده المضنى قساوره
ليل المظالم والطغيان قد نفرت ... غربانه السود وانجابت دياجره
ولّت خفافيشه عشواً يشيّعها ... صبحٌ تشع على الدنيا منائره
واستعلن النور فارتد الدجى خجلا ... يئن من لطمات الخزى عاكره

* * *

قل للمدل بسيف الظلم : فارسنا ... فى كفه سمهريُّ الحق باتره
ليث الكنانة لما صاح فزعه ... زئيره الحر فارتاعت خواطره
وعلّم السادر المغرورَ أن له ... يوماً يطيح به فى الحظ عاثره
مَن لم ينل حقه باللين أسعفه ... بأس تثور على الدنيا ثوائره
والنصر للحق والعقبى لصاحبه ... مهما علا الظلم واشتطت عشائره

* * *

لبيك يا بطـــل الوادى ومنقذه ... وأنت مهجتُه الحرّى وناظرهُ
على هداك قـــد استهدت مناهجه ... وفى يمينك قـــد قرت مصائره
ما ضل فى الليل سار أنت رائده ... ولم يَضع قط حق أنت ذاكره
صرختَ فى جنبات الظلم فانصدعت ... وزلزلت فى مهاويها قياصرهُ

مكتبتنا العربية



# أحـــــداث الهجرة

## بين التاريخ والعبرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد ابراهيم الحفناوى

وكيل معهد سمنود الدينى

---

يمجد الزمن بأحداثه ، ويلفت إليه ما يسعد من تراثه . وللأيام مجد تخلد به وتاريخ تكرم عليه ، فحين تمر تخبر . وحين تدور تذكر . ولمجد الأيام عمر تحدده ما تحمله من الخير . ولبعضها سيادة على سواها تملأ النفوس هيبة ووقارا . ويسجد لها التاريخ إعظاما وإكباراً . وليست الأيام الخالدة فى أعمال الأمم إلا تمجيداً للعزائم وتخليداً للهمم . وعلى مقدار ما يكون للأيام من أثر . تكون روعة الاستقبال

---

آبو خزايا بيوم الفصل وانكفأوا ... فى هوة الظلم لما انفض سامره

لا كان عهد لهم ساموا البلاد به ... خسفا ودارت على الوادى دوائره

اليوم راحوا ليسقى بعضهم ندما ... بعضا وباءوا بشؤم طار طائره

لا يخدعنّك ساعٍ فى محالفة ... فكلهم خائسٌ بالعهد غادره

يستأسدون على الوادى إذا أمنوا ... وهم إذا راعهم بأسٌ جآذره

* * *

يهنيك نصرٌ مبين أنت فارسه ... وأنت يوم الجهاد الحق ظافره

عيدٌ لحـــرية الوادى يطالعنا ... وموعـدٌ للمنى عزت نظائره

إذا بقيت له جلداً فليس له ... من حادثات الليالى ما يحاذره

الأزهر اليوم قد ماست مآذنه ... نشوى بمجدك واهتزت منابره

مواكب النصر هزته فراح بها ... تهفو إليك شجيات خواطره

لا زلت فينا زعيم النيل يرفعه ... ماضيه فى خدمة الوادى وحاضره

فى ظل فاروقه سباقِ نهضته ... ومَن على تاجه تحيا مفاخره

مكتبتنا العربية



# أحـــــداث الهجرة

## بين التاريخ والعبرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد ابراهيم الحفناوى

وكيل معهد سمنود الدينى

---

يمجد الزمن بأحداثه ، ويلفت إليه ما يسعد من تراثه . وللأيام مجد تخلد به وتاريخ تكرم عليه ، فحين تمر تخبر . وحين تدور تذكر . ولمجد الأيام عمر تحدده ما تحمله من الخير . ولبعضها سيادة على سواها تملأ النفوس هيبة ووقارا . ويسجد لها التاريخ إعظاما وإكباراً . وليست الأيام الخالدة فى أعمال الأمم إلا تمجيداً للعزائم وتخليداً للهمم . وعلى مقدار ما يكون للأيام من أثر . تكون روعة الاستقبال

---

آبو خزايا بيوم الفصل وانكفأوا ... فى هوة الظلم لما انفض سامره

لا كان عهد لهم ساموا البلاد به ... خسفا ودارت على الوادى دوائره

اليوم راحوا ليسقى بعضهم ندما ... بعضا وباءوا بشؤم طار طائره

لا يخدعنّك ساعٍ فى محالفة ... فكلهم خائسٌ بالعهد غادره

يستأسدون على الوادى إذا أمنوا ... وهم إذا راعهم بأسٌ جآذره

* * *

يهنيك نصرٌ مبين أنت فارسه ... وأنت يوم الجهاد الحق ظافره

عيدٌ لحـــرية الوادى يطالعنا ... وموعـدٌ للمنى عزت نظائره

إذا بقيت له جلداً فليس له ... من حادثات الليالى ما يحاذره

الأزهر اليوم قد ماست مآذنه ... نشوى بمجدك واهتزت منابره

مواكب النصر هزته فراح بها ... تهفو إليك شجيات خواطره

لا زلت فينا زعيم النيل يرفعه ... ماضيه فى خدمة الوادى وحاضره

فى ظل فاروقه سباقِ نهضته ... ومَن على تاجه تحيا مفاخره

مكتبتنا العربية



وحفاوة البشر . أشرف الأيام ما اتسع نطاق بره . وامتد سلطان خيره ـ وما وضع للناس دستور السعادة والكرامة . وما هدى إلى طريق الحق والاستقامة فخلص العالم من قيود الذلة والضيم . وفك عنه أغلال الطغيان والظلم . وغرس فيه المثل الكريمة العليا . التى تضمن للناس خير الآخرة والدنيا . أيام الإسلام الغر كثيرة . وأحداثها الخالدة ظاهرة وثيرة . وفى هذه الأيام أعياد مشرقة الطلعة . عالية القدر . مخصبة الأثر . خالدة الذكر . فيها وضع للعالم أكمل نظام . وظهر الحق وتمكن الإسلام .

فهذا يوم شرف فيه الوجود بمولد النبى . وآخر بعث فيه الرسول بالهدى الإلهى . . وذلك يوم رد الله فيه على الكفر مكره . . ووجه رسوله إلى المنبت المخصب للبكرة فصدع النبى بأمر ربه . وكانت الهجرة . . .

والهجرة حدث إسلامى خطير فرغ التاريخ من تقديره . وأجمعت الآراء على حكمته وحسب الباحث على إكباره ما أفاده الإسلام من آثاره ففيه شاعت الدعوة . . وبلغت أسمى مراتب القوة . وفيه يتجلى جلال العقائد . ويبدو عزم الجند . وحزم القائد . وفيه جاهدت جنود خفية . تدبر خططها سياسة علوية . أما جلال العقائد . فيتمثل فى الفدائية الإسلامية . التى يروعك منظرها القوى فى موقف على . فأى يقين عمر قلبه وغمره . وأى إيمان دفعه . لا يشك الباحث أنها فتوة عقيدة . وشجاعة بصيرة رشيدة . تفتدى القائد إن حزب الأمر . وتحمل عنه ما يبيت له من الشر . ولا تبالى حين ينجو النبى ويسلم ، أن ينالها من البلاء ما تعلم وما لا تعلم . . . وهل كانت حياة على فى حسابه حين خلف النبى على فراشه : يشغل عدو الله ، ويلهيه من تتبع رسول الله فما أثبت جنانه ، وما أرسخ إيمانه ، وما أحكمها من حيلة دبرها القدر . . .

تهزأ بالرصد . وتسخر من الخطر . وما أبلغها من عظة كريمة . يلقيها على أنصار المبادىء القويمة . تعلمهم كيف تهون التضحية الغالية ، فى سبيل نصرة المبادىء العالية وهنا يجب أن يتنبه العصر الحديث ، إلى هذه العبرة من الهجرة ، ليأخذ منها ما يعينه على بغيته ، ويقرب سبيله إلى طلبته ، وكل صاحب رسالة لا بد له من أنصار كعلى يجرى فى عروقهم هذا الدم الفدائى . فيحافظون على صاحب الدعوة ليسلم لدعوته

مكتبتنا العربية



ويفتدونه بنفوسهم ليبغى لرسالته . فخصوم الدعوات الصالحة يحاولون التخلص من أصحابها بأخس الوسائل ، ويتفانون فى هدم حصونها بأدنى المعاول . فإذا فطن الأنصار إلى شرهم ردوهم على أعقابهم وغلبوهم على أمرهم . ففى الهجرة من جلال العقائد . . ما يمثل مع الفداء الوفاء ، ويضرب أروع المثل للسخاء والسخاء وحسبك دليلا على السماحة والطهر ما تحكيه الهجرة من صنيع أبى بكر . فكما كان فى الدعوة الصديق ، كذلك كان فى الهجرة الرفيق ، جهز وسائلها بماله ، وجعل فى خدمتها ذات الخفر من آله . فهذه ابنته أسماء . . تبلى فى خدمة الهجرة أحسن البلاء فكم قطعت البيد ، واحتملت الأخطار لتحمل إلى الرسول وصاحبه خطة الكفار ، وما أنبلها حين تجعل من نطاقها وكاءين ، وحينئذ يتجلى جزاء الله ، فيكرم ثمنه ويبدلها به نطاقين فى الجنة .

ولقد كان أبو بكر مصدر حنان يتدفق على النبى ، فكم نسى نفسه وذكر هاويه ، وكم تحمل الإيذاء بنفس راضية ، وقد احتال حتى لا يهاج سيد الأنبياء فما أبره من وفى يتقاطر منه الولاء ، وكم حزن أبو بكر إشفاقا على النبى فنم عليه دمعه ، وهنا يغمره النبى راحة وأمنا . حين يقول له : لا تحزن إن الله معنا .

وهكذا يكون الإخلاص والوفاء ، وبمثل هذا تزيد الدعوات . . ويتفانى معتنقوها ، ويعدون لها كل ما فى مكنتهم من معونة . ويمدونها بما يقدرون عليه من مساعدة :

وهذه عظة سامية من عظات الهجرة تلقن الناس كيف يخدمون المبادىء ويظاهرون رجالها ليحققوا مراميها . ويجنوا ثمارها . فليجعلها العصر الحديث قدوة حسنة . وأسوة كريمة تجعل النفوس للمبادىء . ولا تجعل المبادىء للنفوس ...

وفى الهجرة من جلال العقائد ما يتفجر شجاعة وبسالة . ويعلن للإسلام عزته وجلاله .

فهذا عمر بن الخطاب يعلن أمره . ويهاجر جهرة . ويتحدى المشركين ، ويقول فى عزة المؤمنين : من أراد أن تثكله أمه . أو يوتم ولده . أو ترمل زوجه فليتبعنى وراء هذا الوادى . وهنا يقف التاريخ وقفة الدرس والبحث . ويقارن بين هجرة وهجرة . وينتهى إلى أفراد هذه الخطة الحكيمة التى سلكتها المبادىء القويمة . فكما

مكتبتنا العربية



كان جهر عمر بالهجرة شجاعة . كذلك كان استخفاء النبي وصاحبه براعة . فالحازم يحارب بالسلاح الذى ينصره والعدة التى لا تخذله . وكما تكون مجاهرة الخصم عزما فكذلك تكون مغافلته حزما فإذا تم النصر بالمجاهرة فهى الرجولة وإذا تم بالمغافلة فهى الحيلة . . وفى كلا المسلكين سددا يعين على المراد . وفى المهاجرة لون من المضاء وفى المغافلة لون آخر من السخرية والاستهزاء . . .

وفى الهجرة تتجلى عزيمة المؤمنين . حين يفارقون وطنهم ليصاحبوا إيمانهم فهذا صهيب يخير بين تمكينه من الهجرة . وبين ماله . فيضحى بماله . ويفر بآماله وهذه صاحبة أبى سلمة يخيرها الجبابرة بين خروجها وبين طفلها . فيتغلب فيها الإيمان على الحنان . . وينتصر عندها اليقين على الحنين . فتترك طفلها وديعة بين يدى الله . وتفر بدينها وإسلامها من وجوه الطغاة . ومثل هذا كثير يضيق المقام عن حصره ، ويعجز الزمن عن عده . وبمثل هذا ساد الإسلام . وبلغ الذروة من مجده.

وفيها تجلت سماحة الأنصار ، وضربوا أنضر المثل فى الإيثار . فكانوا للمهاجرين خيراً من أهلهم ، وأحنى عليهم من أوطانهم ، فجزاهم الله أحسن الجزاء . وجمعهم على الأخوة بعد أن كانوا أعداء . وهكذا يجزى الله المتقين ، ويحسن عاقبة الصابرين . . وفى الهجرة من العجائب مايشهد بجنود الله الخفية ، التى جندها الله لنصر الدعوة المحمدية . يستهلها الله بالغشاوة تضرب على أبصار الكفار ، وبالسد الذى يستر « النبى » عن الأنظار حتى يخرج هازءاً من الرصد . ساخراً من العدة والعدد .

وهكذا عنكبوت ينسج بيته فى لمح البصر . ويصنع درعاً يقى الرسول من الخطر وذلك حمام يرد الله به الكيد ، ويجعله رمز السلام والأمان ، وحماية للدين ، وصيانة للإيمان . وتلك أرض صلبة تغوص فيها قوائم سراقة . فسبحان من خذله عن اللحاق وعاقه . .

هذه بعض أحداث الهجرة . ينشرها التاريخ ذكرى . وترددها الألسنه فخراً . فيها ما يهيب بالمسلمين أن يلتفوا إلى جلال الدين . ويتمسكوا بحبل الله المتين . فثمرة الخير أن يستثمر . وأن يهتدى به حين يذكر . فليجدد المسلمون لهم أملا ، وليعملوا لاسترداد مجدهم عملا . وحينئذ تدين لهم الحياة ، ويصبحون أهلا لنصر الله .

مكتبتنا العربية



# الموطأ

## لامام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس رضى الله عنه

لحضرة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى

---

خير كتاب أخرج للناس فى عهده . ثم ما خايره فخاره كتاب أخرج من بعده .

ولأمر ما قال فيه إمامنا الشافعى (محمد بن إدريس) رضى الله عنه قولته المشهورة:

ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك وفى رواية :

ما وضع على الأرض كتاب هو أقرب للقرآن من كتاب مالك . وفى رواية :

ما فى الأرض بعد كتاب الله ، أكثر صواباً من موطأ مالك . وفى رواية :

ما بعد كتاب الله أنفع من الوطأ .

والشافعى هذا ، هو الذى قال فيه الإمام أحمد بن حنبل :

كنت سمعت الموطأ من بضعة عشر رجلا من حفاظ أصحاب مالك . فأعدته على الشافعى لأنى وجدته أقومهم .

ولا مر ما قال الإمام البخارى ، وهو من هو : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى ، فى شرح الترمذى :

الموطأ هو الأصل الأول واللباب . وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا الباب . وعليها بنى الجميع . كمسلم والترمذى .

وأول من صنف فى الحديث ورتبه على الأبواب :

مالك بالمدينة . وابن جريج بمكة . والربيع بن صبيح ، أو سعيد بن أبى عروبة ، أو حماد بن سلمة ، بالبصرة . وسفيان الثورى ، بالكوفة . والأوزاعى ، بالشام . وهشيم ، بواسط . ومعمر ، باليمن . وجرير بن حميد ، بالرى . وابن المبارك ، بخراسان .

مكتبتنا العربية



وقال الحافظان ابن حجر والعراقى :

كان هؤلاء فى عصر واحد . فلا يُدرَى أيهم سبق . وذلك فى سنة بضع وأربعين ومائة .

وقد صنف الإمام مالك الموطأ ، وتوخى فيه القوى من أحاديث أهل الحجاز ، ومزجه بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

وقد وضع مالك الموطأ على نحو عشرة آلاف حديث . فلم يزل ينظر فيه ، فى كل سنة ، ويسقط منه ، حتى بقى هذا .

وقد أخرج ابن عبد البر ، عن عمر بن عبد الواحد ، صاحب الاوزاعى ، قال : عرضنا على مالك الموطأ ، فى أربعين يوما . فقال : كتاب الفته فى أربعين سنة ، أخذتموه فى أربعين يوما ! ما أقل ما تفقهون فيه ! وقال مالك : عرضت كتابى هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة . فكلهم واطأنى عليه ، فسميته ( الموطأ ) .

وقال الجلال السيوطى : وما من مرسل فى الموطأ إلا وله عاضد أو عواضد . فالصواب إن الموطأ صحيح كله ، لا يستثنى منه شىء .

وقد صنف ابن عبد البر كتابا فى وصل ما فى الموطأ من المرسل والمنقطع والمفصل . قال : ما فيه من قوله ( بلغنى ) ومن قوله ( عن الثقة ) عنده . مما لم يسنده ، أحد وستون حديثا .

كلها مسندة عن غير طريق مالك . إلا أربعة لا تعرف .

أحدها : إنى لا أنسى ولكن أنسى لأنسى ( أخرجه فى : ٤ - كتاب السهو ، حديث ٢ ) .

والثانى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبل . أو ماشاء الله من ذلك ، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر . فأعطاه الله ليلة القدر (خير من ألف شهر) . ( أخرجه فى : ١٩ - كتاب الاعتكاف ، حديث ١٥ ) .

والثالث : ان معاذ بن جبل قال : آخر ما أوصانى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين وضعت رجلى فى الغرز ، أن قال : « أحسن خلقك للناس ، يا معاذ بن جبل » ( أخرجه فى : ٤٧ - كتاب حسن الخلق ، حديث ١ ) .

مكتبتنا العربية



والرابع : إذا أنشأت بحرية ، ثم تشاءمت ، فتلك عن عُذيقة . ( أخرجه فى : ١٣ ـ كتاب الاستسقاء ، حديث ٥ ) .

هذا وقد نقل خاتمة المحدثين شيخنا المرحوم محمد حبيب الله الشنقيطى فى كتابه ( دليل السالك إلى موطأ الامام مالك ، عن الشيخ صالح الفلاَنى ، فى حواشيه على شرح زكريا الأنصارى على ألفية العراقى ، قوله :

وقد وصل ابن الصلاح الأربعة الأحاديث المذكورة فى تأليف مستقل ، وهو عندى ، وعليه خطه . وقد روى الموطأ عن مالك :

من أهل المدينة سبعة عشر

ومن أهل مكة إثنا عشر

ومن أهل مصر عشرة

ومن أهل العراق وغيرهم سبعة وعشرون

ومن أهل الأندلس ثلاثة عشر

ومن القيروان إثنان

ومن تونس إثنان

وفى أهل الشام سبعة

قال القاضى عياض . بعد سرد أسماءهم ، هؤلاء الذين حققنا أنهم رووا عنه الموطأ ونص على ذلك المتكلمون فى الرجال .

وقد ذكروا أيضا أن محمد بن عبد الله الأنصارى البصرى أخذ الموطأ عنه كتابة وإسماعيل بن إسحاق أخذه عنه ، مناولة . أما أبو يوسف فرواه عن رجل ، عنه .

وقد ذكر عن المهدى والهادى أنهما سمعا منه ، ورويا عنه ، وأنه كتب الموطأ للمهدى .

وذكروا أيضا أن الرشيد وبنيه ، الأمين والمأمون والمؤتمن أخذوا عنه الموطأ.

ولا مرية أن رواة الموطأ أكثر من هؤلاء . ولكن إنما ذكرنا منهم من بلغنا نصا ، سماعه له منه ، وأخذه له عنه ، أو من اتصل إسنادنا فيه عنه .

مكتبتنا العربية



والذى اشتهر من نسخ الموطأ ، مما رويته عنه ، أو وقفت عليه ، أو كان فى روايات شيوخنا ، أو نقل عنه أصحاب اختلاف الموطآت ، نحو عشرين نسخة . وقد ذكر بعضهم أنهم ثلاثون نسخة .

وقد رأيت الموطأ رواية محمد بن عبد الرحيم بن شروس الصنعانى ، عن مالك ، وهو غريب ، ولم يقع لأصحاب اختلاف الموطآت فلهذا لم يذكروا عنه شيئا . اهـ.

هذا كله كلام القاضى عياض .

وقال الجلال السيوطى : وقد ذكر الخطيب ، ممن روى الموطأ عن مالك ، إسحاق بن موسى الموصلى ، مولى بنى مخزوم .

وقال بعض الفضلاء :

اختار أحمد بن حنبل فى مسنده رواية : عبد الرحمن بن مهدى .

والبخارى رواية : عبد الله بن يوسف التنسىّ .

ومسلم رواية : يحيى بن يحيى التميمى النيسابورى .

وأبو داود رواية : القعنبى .

والنسائى رواية : قتيبة بن سعيد .

قال الإمام الزرقانى : وهذا كله أغلبى : وإلا فقد روى كلٌّ ممن ذكر عن غير من عينه .

وقد عقب على ذلك المرحوم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى بقوله :

ومن هنا يعلم بالضرورة . أن أصحاب كتب الحديث المعتبرة ، كلهم عالة على مالك وأصحابه . وهو شيخ الجميع . لأن مدار الحديث اليوم على الكتب الستة ، ومسند الإمام أحمد . وقد رأيت تعويل الجميع على روايات مالك والسماع من أصحابه.

وقال الشيخ ولىّ الدين الدهلوى وطنا ، العمرى نسبا : كتاب الموطأ أصح الكتب وأشهرها . وأقدمها وأجمعها ، وقد اتفق السواد الأعظم من الملة على العمل به ، والاجتهاد فى روايته ودرايته . والاعتناء بشرح مشكلاته ومعضلاته والاهتمام باستنباط معانيه وتشييد مبانيه . ومن تتبع مذاهبهم ، ورزق الانصاف

مكتبتنا العربية



# الأدب العربى
## فى عهد الأمويين

الأستاذ الشيخ عبد الحميد محمود المسلوت
الأستاذ بكلية اللغة العربية

---

ازدهر الأدب العربى فى عهد الأمويين وتفتحت أزهاره ، وأينعت ثماره ، وتضوع عبيره ، وأشرق ضياؤه بما حفل من رائع القول وبديع الفكر وجيد المعانى وعبقرى الخيال .

ولا تزال صفحة العربية لامعة بذلك التراث الخالد الذى سجل صور الحياة ومظاهر التاريخ ، وأحداث العصر ، وما تعاور على الأمة من خير وشر ، وحلو ومر ، وشدة ورخاء ، وهدوء وسلام ، وجلاد وخصام .

---

فى نفسه ، علم لا محالته ، أن الموطأ عمدة مذهب مالك وأساسه . وعمرة مذهب الشافعى وأحمد وراسه . ومصباح مذهب أبى حنيفة وصاحبيه ونبراسه .

وهذه المذاهب بالنسبة للموطأ كالشروح للمتون ، وهو منها بمنزلة الدوحة فى الغصون .

وإن الناس وإن كانوا فى فتاوى مالك فى رد وتسليم ، ما صفى لهم المشرب ، ولا تأتى لهم المذهب إلا بما سعى فى ترتيبه ، واجتهد فى تهذيبه .

وقال الشافعى لذلك : ليس أحداً مَنَّ على فى دين الله من مالك .

قال الإمام المحدث المرحوم الشنقيطى :

ومما هو ضرورى عند المحدثين أن مشايخ أصحاب الكتب الستة . ومن عاصرهم كالإمام أحمد فى مسنده ، أغلبهم تلامذة الإمام مالك ، الذين رووا عنه الموطأ بروايات عديدة . قل أن تخلو واحدة منها عن زيادة تتفرد بها . ولم يتركوا شيئا فى أحاديث الموطأ بل أخرجوها فى مصنفاتهم .

مكتبتنا العربية



# الأدب العربى
## فى عهد الأمويين

الأستاذ الشيخ عبد الحميد محمود المسلوت
الأستاذ بكلية اللغة العربية

---

ازدهر الأدب العربى فى عهد الأمويين وتفتحت أزهاره ، وأينعت ثماره ، وتضوع عبيره ، وأشرق ضياؤه بما حفل من رائع القول وبديع الفكر وجيد المعانى وعبقرى الخيال .

ولا تزال صفحة العربية لامعة بذلك التراث الخالد الذى سجل صور الحياة ومظاهر التاريخ ، وأحداث العصر ، وما تعاور على الأمة من خير وشر ، وحلو ومر ، وشدة ورخاء ، وهدوء وسلام ، وجلاد وخصام .

---

فى نفسه ، علم لا محالته ، أن الموطأ عمدة مذهب مالك وأساسه . وعمرة مذهب الشافعى وأحمد وراسه . ومصباح مذهب أبى حنيفة وصاحبيه ونبراسه .

وهذه المذاهب بالنسبة للموطأ كالشروح للمتون ، وهو منها بمنزلة الدوحة فى الغصون .

وإن الناس وإن كانوا فى فتاوى مالك فى رد وتسليم ، ما صفى لهم المشرب ، ولا تأتى لهم المذهب إلا بما سعى فى ترتيبه ، واجتهد فى تهذيبه .

وقال الشافعى لذلك : ليس أحداً مَنَّ على فى دين الله من مالك .

قال الإمام المحدث المرحوم الشنقيطى :

ومما هو ضرورى عند المحدثين أن مشايخ أصحاب الكتب الستة . ومن عاصرهم كالإمام أحمد فى مسنده ، أغلبهم تلامذة الإمام مالك ، الذين رووا عنه الموطأ بروايات عديدة . قل أن تخلو واحدة منها عن زيادة تتفرد بها . ولم يتركوا شيئا فى أحاديث الموطأ بل أخرجوها فى مصنفاتهم .

مكتبتنا العربية



وإن الذى يجتلى أسراره ، ويستعرض آثاره ، ويكتنه ظواهره وأغواره ، ليرى العربية فى شبابها وقوتها ، وعنفوانها وفورتها ، واستجابتها الطيعة لما استجد للعرب من حياة ، وما تهيأ لهم من ملك واسع وجاه عريض .

على أنه لا بد لدارس الأدب وما اعتراه من تطورات فى عهد الأمويين أن يمر بالأسباب التى كونت هذا العهد والعوامل التى أنشأت هذا الملك حتى تتضح له الميزات ، وتستبين لديه الخصائص والسمات .

فقد قام هذا العصر على أنقاض كفاح مرير بين على ومعاوية . أزهقت فيه أرواح ، وسفكت دماء ، واستبيحت حرمات ، وهتكت أستار .

ثم هو عصر كله كفاح وجلاد وحرب وخصام ومعارك حامية ، شهرت فيها السيوف ، وشرعت الرماح ، وتقارعت الألسنة . فإن قتل الخليفة الثالث عثمان ابن عفان كان كسراً لباب الفتنة ، وفتحاً لمغاليق الشر على هذه الدولة الإسلامية الناشئة . إذ تكاثرت عليها الأحداث والخطوب ، وعصفت بوحدتها وقوتها نوائب الدهر وأحداث الزمان ، وكان أول الشر أن ظل على ومعاوية يتصارعان على الخلافة ويحشد كل منهما لأخيه ما يملك من عدة وقوة ، وما يدخر من حيلة أو وسيلة ، وقد كان اعتماد على ، ما يؤمن به من حقه وأولويته لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن بلائه فى الإسلام ، وصدق جهاده فى سبيل الله ، وتأييد أئمة المسلمين له وأكثر أهل الحل والعقد فى هذه الأمة .

أما معاوية فكان يدفعه إلى ذلك ما وقر فى نفسه وهجع فى أعماقه من رغبة فى السيادة قديمة ، وحب فى الرياسة أصيل . ومن هنا راح يعمل للملك وأخذ يمهد للولاية على المسلمين متخذاً المطالبة بدم عثمان ستراً وتقية .

ولقد توفر لديه من الوسائل واجتمع له من الأسباب ما مكنه من المضى إلى وجهته والإسراع إلى غايته . فقد كان والياً على الشام وأقام على ذلك قرابة العشرين عاما ظل فيها يؤلف القلوب ويجتذب إليه النفوس ويتخذ لدى الناس من الأيدى ما يجعلهم يتفرون إلى نصرته ويخفون فى الأحداث والملمات إلى مساعدته ولقد رأى الفرصة سانحة للملك فاهتبلها والزمان مواتيا فلم يضيعه ، ذلك أن عليا حين آلت أمور المسلمين إليه وجد أن الذى ألب النفوس وأضغن القلوب على

مكتبتنا العربية



عثمان وأشعل الثورة ضده فى كل مكان ، هم أقرباؤه الذين آثرهم بالسلطان وجعل منهم أمناءه وجباته وولاته على الأمصار ، فرأى على لكى يستتب الأمر وتطمئن النفوس وتسكن الثورة الجامحة أنه لابد من عزل ولاة عثمان وهنا تسنح الفرصة لمعاوية وينفتح له الباب الذى ينفذ منه إلى أغراضه وأطماعه . فإنه حين جاءه كتاب على بالعزل تمرد عليه ولم يخضع له وقال : لا خلافة إلا بعد قتل قتلة عثمان ووجد من أهل الشام المعين والنصير . فنهض للثورة على على ومحاربته . وقوى من ساعده وشد فى عضده أن طلحة والزبير ثارا كذلك على على واستنفرا عائشة أم المؤمنين لقتاله فحاربته حتى هزم جيشها فى موقعة الجمل .

وظلت أمور المسلمين هكذا تتناشها الفتن وتنال منها الثورات وتلعب بها العواطف حتى انتهت هذه الحال الشنيعة بقتل على وتنازل ابنه الحسن عن حقه فى الخلافة بعد قتله بستة أشهر حقنا لدماء المسلمين .

وهكذا تم لمعاوية الأمر وانفرد بالولاية على شئون المسلمين سنة ٤١ هـ وبذلك قامت دولة بنى أمية فى هذا العام الذى يعرف بعام الجماعة . على أن معاوية لم ينهض بأمر الملك إلا والمجتمع الإسلامى تسوده ثلاث جماعات متباينة المنزع متنابذة الرأى متخالفة الفكرة وهى .

١ — جماعة الأمويين . الذين ناصروا معاوية وشايعوه فى فكرته وآزروه فى مهمته وحاولوا جاهدين أن يتم له الأمر وتجتمع لديه أسباب الملك . وكان يدفع هؤلاء إلى العمل الدائب ما ورثوا من أطماع قديمة ومآرب سرت فى النفس والدم واختلطت باللحم والعظم وأصبحت فى حياتهم حلم النوم ومطرح الخيال فى اليقظة .

كان هذا الفريق منبثا فى بلاد الشام وغيرها من سائر الأمصار الإسلامية وخاصة مصر .

٢ — شيعة على بن أبى طالب وهم الذين أحبوه وناصروه وآمنوا به وعزروه وقاموا يناضلون عن حقه ويكافحون معه فى سبيل استقرار خلافته وكانوا يؤمنون إيمانا قويا أنه أحق بولاية أمر المسلمين من معاوية . وأكثر هؤلاء كان فى بلاد العراق وقليل منهم كان فى مصر .

مكتبتنا العربية



٣ ـــ الخوارج . وهؤلاء الذين خرجوا على علىّ وكفروه حين قبل التحكيم وكانوا يرون أن الخلافة حق لكل مسلم ما دامت فيه كفاية للحكم وأهلية للخلافة لا فرق فى ذلك بين قرشى وغيره . وكان فيهم عصبية طاغية لما يعتقدون من رأى ويدينون به من مذهب الى عداوة حامية وبغضاء شديدة للفريقين ، فهم يستحلون دماءهم وأموالهم ويرونهم إذ خالفوهم فى الرأى جارجين على الدين مارقين من الملة .

أما شيعة على فقد سكتوا عن الخلافة حينا قصيرا عقب تنازل الحسن وفى النفوس غضب وتحفز وفيها تربص وانتظار ، ثم بدأ معاوية ينقض ميثاقه ويخلف عهده وأخذ يعقد البيعة لولده يزيد ، وكان العهد أن تكون للحسين بعد معاوية . فعادت الثورة من جديد جذعة وجعلت تتفاقم وتشتد وبدأ الغيظ المكتوم والغضب المكظوم يبعث على الثورة ويدعو الى التمرد ، وكان ما تشهده التاريخ من دماء زكية تجمدت على صفحته ومآس بشعة لاتزال تدمع لها العيون وترتعد الفرائص وتجزع النفوس .

وأما الخوارج فلم يهدأوا لحظة ولم يدعوا الحكام يستريحون برهة . فقد كانوا فى كل مكان شوكة فى جنوبهم وقذى فى عيونهم وشجى فى حلوقهم لا يغاربهم هدوء الطبع ولا سكون النفس ولا يمر بهم طائف من التسامح .

ولهؤلاء أدب يصور آراءهم ويعبر عن عقائدهم ويحكى ما تنطوى عليه نفوسهم من مذاهب يعد من أروع وأخلد ما خلفه العرب من تراث وما تركوا من آثار .

وقد نشأ الى جانب هذه الأحزاب المتعادية المتشاكسة فيما بعد حزب آخر هو حزب عبد الله بن الزبير . وكان معاوية يعرف خطره على خلافته فأوصى ابنه أن يحترس منه وأن يتخذ من الأسباب والواقيات ما يبعده عن شره ومن قوله فى ذلك له ( لست أخاف عليك إلا ثلاثة ، الحسين بن على ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله ابن عمر . أما الحسين فأرجو أن يكفيكه الله ، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب [1] فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا وأما ابن عمر فإنه رجل قد وقذه الورع [2] فخل بينه وبين آخرته يخل بينك وبين دنياك ) .

---

(١) الخب بالفتح والكسر هو الرجل الخداع والارب بالكسر الدهو .

(٢) وقذه : سكنه وغلبه وتركه عليلا .

مكتبتنا العربية



مجتمع تسوده هـــذه الطوائف التى لا تعرف الضعف ولا التراخى . هـذه الطوائف التى لا يهن عودها ولا يسلس قيادها ولا تهدأ ثورتها ولا يسكن جموحها ، هـذه الطوائف التى تتراشق فى السر والعلن وتتصاءل بالسنان وتتعازف باللسان . مجتمع تصطرع فى ساحته هذه القوى الهادرة الثائرة ، تعوزه حكمة فى قيادته وحنكة فى ولايته ومراس قوى وعقلية ناضجة فى تدبير أمره ، وكذلك كان معاوية . آتاه الله حلما على خصومه مهما خاشنوه القول وجفوا فى الخطاب ومنحه دهاء وبراعة حيلة وتأتيا إلى الأمور من أيسر سبيل . يصفه صاحب الفخرى بقوله ( كان معاوية عاقلا فى دنياه ، لبيبا عالما حليما ملكا قويا جيد السياسة ، حسن التدبير . لأمور الدنيا عاقلا حكيما فصيحا بليغا ، يحلم فى موضع الحلم ويشتد فى موضع الشدة إلا أن الحلم كان أغلب عليه . وكان كريما باذلا للمال محبا للرياسة مشغوفا بها كان يفضل على أشراف رعيته كثيرا . فلا يزال أشراف قريش مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر . وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر وعبد الرحمن بن أبى بكر وأبان بن عثمان بن عفان وناس من آل أبى طالب رضى الله عنهم يفدون عليه بدمشق فيكرم مثواهم ويحسن قراهم ويقضى حوائجهم ، ولا يزالون يحدثونه أغلظ الحديث ، ويجبهونه أقبح الجبه وهو يداعبهم تارة ويتغافل عنهم أخرى ولا يعيدهم إلا بالجوائز السنية .

والصلات الجمة . قال يوما لقيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه وهـو رجل من الأنصار يا قيس ، والله ما كنت أود أن تنكشف الحروب التى كانت بينى وبين على ( عليه السلام ) وأنت حى فقال قيس . والله إنى كنت أكره أن تنكشف تلك الحـروب ، وأنت أمير المؤمنين . فلم يقل له شيئا وهـذا من أجل ما كانوا يخاطبونه به ) .

ونكتفى الآن بهذه اللمحة العابرة لنتحدث فى المقـال التالى عن سياسة معاوية فى حكمه وأثرها فى إنعاش الأدب وتجويد الشعراء وإبداع الأدباء ؟

مكتبتنا العربية

# فهرس

## الجزء الثانى ـ المجلد الثالث والعشرون


| الموضـــوع | بقـــلم | صفحة |
|---|---|---|
| الاشتراكية فى الإسلام ... ... ... | لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود أبو العيون سكرتير الجامع الأزهر والمعاهد الدينية | ٨٩ |
| ما يصادفه المجددون فى جميع العصور ... | حضرة صاحب العزة مدير المجلة | ٩٦ |
| التفسير ـ سورة البقرة ... ... ... | لفضيلة الأستاذ الشيخ حامد محيسن | ١٠١ |
| الربا فى نظر القانون الإسلامى ... | » الدكتور محمد عبد الله دراز | ١٠٥ |
| لغويات ... ... ... ... ... ... | » الشيخ محمد على النجار | ١١٣ |
| قضية البعث بين العقل والنقل ... ... | » أبو الوفا المراغى | ١٢١ |
| فيثاغورس ـ حياته ... ... ... ... | للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى | ١٢٤ |
| خواطـــر ... ... ... ... ... | لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم أبو الخشب | ١٣٠ |
| أمن المجتمع واستقراره فى نظر الإسلام... | لحضرة الدكتور محمود عياض ... | ١٣٣ |
| البابية والبهائية ... ... ... ... | » الأستاذ عمر طلعت زهران | ١٣٩ |
| المادية حرب على الأديان ... ... | » الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى | ١٤٣ |
| المسلمون والتصوير... ... ... ... | » أحمد عيسى ... | ١٤٧ |
| موازين الأقلام ... ... ... ... | » كامل محمد جلان | ١٥٢ |
| العـــربية ... ... ... ... ... | لفضيلة » عبد الجواد رمضان | ١٥٥ |
| سياسة الحزم ... ... ... ... ... | » السيد شريف ... | ١٦١ |
| السلاح والتعبئة ... ... ... ... | » محمد خليفة ... | ١٦٤ |
| الشفاعة فى الحدود ... ... ... ... | » ابراهيم أحمد الوفى | ١٦٧ |
| ترف وصلف ... ... ... ... ... | » السيد | ١٧٠ |
| عيد الحرية ... ... ... ... ... | » حسن جاد | ١٧١ |
| أحداث الهجـــرة ... ... ... | » عبد ابراهيم الحفناوى | ١٧٢ |
| الموطـــأ ... ... ... ... ... | لحضرة الأستاذ عبد الرازق الباقورى | ١٧٦ |
| الأدب العـربى ... ... ... ... | لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز البشرى | ١٨٠ |